سورة النمل
مكية وآياتها ثلاث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)

الاعراب :

(طس • تلك آيات القرآن وكتاب مبين) طس تقدم الكلام على اعرابها ومعناها في بحث فواتح السور • وتلك مبتدأ وآيات القرآن خبر وكتاب مبين عطف على القرآن ومبين صفة ، وسيأتي سر التنكير والعطف في باب البلاغة • (هدى وبشرى للمؤمنين) يجوز في هدى النصب على الحال والعامل فيها مافي تلك من معنى الاشارة أي هاديه ومبشرة ويجوز فيها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي هي هدى وبشرى ، ومعنى هداها للمؤمنين وهم مهديون زيادتها في هـداهم •

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الذين نعت للمؤمنين ولك أن تقطعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يقيمون الصلاة صلة الذين وجملة يؤتون الزكاة عطف على يقيمون الصلاة وهم الواو للحال وهم مبتدأ أو للعطف وجملة يوقنون خبره وبالآخرة متعلقان بيوقنون وهم مبتدأ جيء للفصل بين المبتدأ وخبره ليتصل بالخبر في الصورة وسيأتي سر التغيير في النظم في باب البلاغة . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون) كلام مستأنف مسوق لبيان السبب في عدم إيمانهم وتحيرهم وتردّدهم في أعمالهم ، وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة الذين وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وجملة زينا خبر إن وزينا فعل وفاعل ولهم متعلقان بزينا وأعمالهم مفعول به والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يعمهون خبره أي يتحيرون ويترددون بين تركها لأنها واضحة البطلان ظاهرة السوء وبين الاستمرار عليها ، وقيل معنى يعمهون يستمرون من غير تردد إذ لم يدر في خلدهم لحظة الاقلاع عنها وهو جميل وقوي ولكن العمه هو كما يقول الزمخشري وغيره من أئمة اللغة التردد والتحير كما يكون حال الضالّ عن الطريق ، وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال : رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم ، وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن العمه مصدر عمه يعمه ويعمه من باب ضرب وفتح عمهاً وعموهاً وعموهية وعمهاناً أي تحير في طريقه أو أمره وتردد في الضلال فهو عَمِه وجمعه عمهون وعامه وجمعه عامهون وعمّه .

(أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون) أولئك مبتدأ والذين خبره ولهم خبر مقدم وسوء العذاب مبتدأ مؤخر

والجملة صلة وهم مبتدأ وفي الآخرة متعلقان بالأخسرون والأخسرون خبره وهم مبتدأ جيء به للفصل بين المبتدأ وخبره ليتصل بالخبر في الصورة وقد تقدم بحثه ، هذا ولا بد من الاشارة الى أن قوله « الأخسرون » يحتمل أنها على بابها من التفضيل وذلك بالنسبة للكفار ويحتمل أنها للمبالغة لا للتشريك لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة • (وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تلقى خبرها ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت والقرآن مفعول به ثان ومن لدن الجار والمجرور متعلقان بتلقى وحكيم مضاف اليه وعليم صفة •

البلاغة :

١ ــ التنكير :

التنكير فقد نكر الكتاب المبين ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له ، ومثله في « مقعد صدق عند مليك مقتدر » أما عطفه على القرآن مع أنه هو القرآن نفسه فهو من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى كقولك : هذا فعل السخي والجواد الكريم ولأن المعطوف فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه •

٢ ــ تكرير الضمير :

وفي قوله « وهم بالآخرة هم يوقنون » كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق ، وقد سبق لنا أن ذكرنا أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر في قوله

تعالى : « هم ينشرون » ان معناه لا ينشر إلا هم ، وأما وجه تكراره هنا فهو انه كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطري ذكره ليلية الخبر ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور حيث بقي على حاله مقدماً ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية •

٣ ــ التعبير بالاسمية والفعلية :

قلنا في مواطن من هذا الكتاب إن التعبير يكون أحياناً بالجملة الاسمية وأحياناً بالجملة الفعلية على أن ذلك ليس متروكاً الى الاعتباط وإنما يعدل عن أحد التعبيرين لضرب من التأكيد والمبالغة والاستمرار والانقطاع ، فإن الايمان والايقان بالآخرة أمر ثابت مطلوب دوامه ولذلك أتى به جملة اسمية وجعل خبرها فعلاً مضارعاً فقال « وهم بالآخرة هم يوقنون » للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما المعينة ولذلك أتى بهما فعلين فقال « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » •

الفوائـد :

أورد الامام الزمخشري سؤالاً في هذا الصدد بناء على قاعدته الاعتزالية وهو « فإن قلت : كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم • وقد أجاب بقوله : « قلت : بين الاسنادين فرق وذلك أن إسناده الى الشيطان حقيقة وإسناده الى الله عز وجل مجاز ، وله طريقان في علم البيان أحدهما : أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة ، والثاني أن

يكون من المجاز الحكمي ، فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه اليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم ، واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قوله « ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر » والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات . وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ، ويعزى الى الحسن .

وقد أجاب أهل السنة بأن هذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في ايجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة ، فمن ثم جعل التزيين الى الله تعالى مجازاً والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب ، وتأمل ميله الى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض ، على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى : « ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » على أن غالب وروده في غير البر كقوله : « زين للناس حب الشهوات » ، « زين للذين كفروا الحياة الدنيا » و « كذلك زين للمسرفين » ومما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال اليهم في قوله : أعمالهم ، وأعمال البر ليست مضافة اليهم لأنهم لم يعملوها قط فظاهر الاضافة يعطي ذلك ، ألا ترى الى قوله تعالى : « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » وقوله : « قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » فأطلق الايمان في المكانين عن اضافته اليهم لأنه لم يصدر منهم ، وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لأنه صدر منهم .

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

اللغـــة :

(آنست) أبصرت من بعيد ، ويقال آنست ناراً وآنست فـزعاً وآنست منه رشداً ، فهو يطلق على المادي والمعنوي .

(بشهاب قبس) يقرأ بالاضافة وتركها كما سيأتي في الاعراب ، والشهاب كل مضيء متولد من النار ، وما يرى كأنه كوكب انقض ، والكوكب عموماً ، والسنان لما فيه من البريق ، وجمعه شُهُب وشُهْبان

وشِهْبان وأشْهُب، ويقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً فيها، والقبس بفتحتين النار المقبوسة تقول خذ لي قبساً من النار ومِقْبَساً ومِقباساً واقبس لي ناراً واقتبس، ومنه ما أنت إلا كالقابس العجلان أي المقتبس ومازورتك إلا كقبسة العجلان، وتقول ما أنا إلا قبسة من نارك، وقبضة من آثارك، وقبسته ناراً وأقبسته كقولك بغيته الشيء وأبغيته ومن المجاز قبسته علماً وخبراً وأقبست.

(تصطلون) : فيه الابدال لأن أصله تصتلون فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الاطباق وهو الصاد قلبت طاء على القاعدة وهو من صلي بالنار بكسر اللام وفي المصباح « صلي بالنار وصليها صَلًى من باب تعب وجد حرها والصلاء بوزن كتاب حر النار وصليت اللحم أصليه من باب رمى : شويته » وفي الأساس : « وصلي النارَ وصلي بها » « يصلى النار الكبرى » وتصلاّها وتصلّى بها وأصلاه وصلاّه، وشاة مصليّة : مشوية وقد صليتها ».

(جان) : حية خفيفة الحركة، وقال في القاموس والتاج : « والجانّ اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لاتؤذي كثيرة في الدور » قالوا وهي كبيرة جداً وإن كانت خفيفة في سرعة الحركة.

(ولم يعقب) : ولم يرجع، يقال عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرار قال :

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب

ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

يصف قوماً بالجبن وانهم إن قيل : هل من معقب وراجع على عقبه للحرب لم يرجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها،

وفي المختار : « وتقول : ولى مدبراً ولم يعقب بتشديد القاف وكسرها أي لم يعطف ولم ينتظر » .

(جيبك) : طوق قميصك وسمي جيباً لأنه يجاب أي يقطع بدخل فيه الرأس .

(واستيقنتها) : الاستيقان أبلغ من الايقان فلا معنى لقول بعض المفسرين أن السين لمجرد الزيادة .

الاعراب :

(إذ قال موسى لأهله : إني آنست ناراً) كلام مستأنف مسوق لذكر قصص خمس من قصص الأولين الأولى قصة موسى وتليها قصة النمل وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها قصة لوط . والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر وقد تقدم كثيراً تقرير ذلك وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف اليها وموسى فاعل ولأهله متعلقان بقال وجملة إني آنست ناراً مقول القول وان واسمها وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به . وأهله عبارة عن زوجه بنت شعيب وولده وخادمه وذلك عند قفوله من مدين الى مصر ليجتمع بأمه وأخيه في مصر وقيل لم يكن معه غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل وتبعاً لذلك أورد الخطاب بالجمع . (سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) الجملة استئنافية وآتيكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وجاء بسين التسويف للاشارة إلى أنه عائد وإن أبطأ فربما كانت المسافة بعيدة ، ومنها متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لخبر وبخبر متعلقان بآتيكم ، وأو حرف عطف ، وللعدول عن الواو الى أو سر سيأتي في باب البلاغة ، وآتيكم عطف على آتيكم الأولى وبشهاب متعلقان بآتيكم وقبس بدل من شهاب أو

نعت له على تأويله بالمفعول أي شهاب مقتبس من نار وقرىء بالاضافة لأن الشهاب يكون قبساً وغيره كالكوكب فهو من إضافة النوع الى جنسه كخاتم فضة وثوب خز وهي بمعنى من ، ولعلكم تصطلون جملة الرجاء حالية ولعل واسمها وخبرها أي راجياً تأمين الدفء لكم وتوفيره.

(فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) الفاء عاطفة على محذوف للاختصار ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب فاعل نودي ضمير مستتر تقديره هو يعود على موسى ، وأن هي المفسرة لأن في النداء معنى القول دون حروفه والمعنى قيل له بورك ويجوز أن تكون على حالها أي ناصبة للفعل المضارع وقد دخلت على الماضي ، أو مخففة من الثقيلة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن بورك ، وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً لأنها واهنة ، وبورك فعل ماض مبني للمجهول ومن نائب فاعل وفي النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة من أي في مكان النار ، ومن حولها عطف على من في النار والمراد بمن إما الله تعالى على حذف أي قدرته وسلطانه وقيل المراد موسى وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها .

(وسبحان الله رب العالمين) الواو استئنافية وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف والله مضاف اليه ورب العالمين بدل أو نعت .

(ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) يا حرف نداء وموسى منادى مفرد علم وان واسمها والهاء إما ضمير الشأن أو راجعة الى ما دل عليه ما قبلها يعني ان مكلمك ، وأنا مبتدأ والله خبر والجملة خبر إن والعزيز الحكيم صفتان . (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولى مدبراً ولم يعقب) الواو حرف عطف وألق فعل أمر مبني على حذف حرف

العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والكلام معطوف على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك وهذا ما يرجح كون أن منسرة كما تقدم وعصاك مفعول ، فلما الفاء عاطفة على محذوف أي فألقاها فاستحالت حية فلما ، ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وجملة رآها في محل جر بإضافة الظرف اليه ورآها فعل وفاعل ومفعول به وجملة تهتز في محل نصب على الحال لأن الرؤية هنا بصرية ، وكأنها جان كأن واسمها وخبرها والجملة في محل نصب حال ثانية أو هي حال من ضمير تهتز فهي حال متداخلة وجملة ولى لا محل لها ومدبراً حال من فاعل ولى والواو حرف عطف ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعقب فعل مضارع مجزوم بلم • (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) الجملة مقول قول محذوف لا بد من تقديره أي قال تعالى ويا موسى منادى مفرد علم ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وان واسمها وجملة لا يخاف خبرها والجملة تعليلية للنهي عن الخوف ولدي ظرف متعلق بيخاف والمرسلون فاعل • (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع ومن اسم موصول مستثنى في موضع نصب ويجوز أن تكون شرطية فتكون مبتدأ والجملة مستثناة من أعم الأحوال وظلم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ثم بدل عطف على ظلم وحسناً مفعول به وبعد سوء ظرف متعلق بمحذوف صفة لحسناً • (فإني غفور رحيم) الفاء واقعة في جواب « من » على الوجهين وان واسمها وخبراها •

(وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) الواو عاطفة وأدخل عطف على وألق عصاك ويدك مفعول به وفي جيبك متعلقان بأدخل وتخرج فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وفاعل تخرج ضمير مستتر تقديره هي وبيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء

متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل وقد تقدم هذا في « طه » واختار أبو البقاء أن يكون الجار والمجرور حالاً أخرى واختار السمين أن يكون صفة لبيضاء . (في تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) كلام مستأنف وحرف الجر يتعلق بالفعل المحذوف أي اذهب في تسع آيات الى فرعون ، وقدره بعضهم بمحذوف أي مرسلاً فيكون محله النصب على الحال والأول أولى وله نظائر قال :

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الإنس الطعاما

وهناك أقوال متشعبة للمعربين سنوردها في باب الفوائد لصقل الأذهان .

وقومه عطف على فرعون وجملة انهم تعليل للأمر بالذهاب وجملة كانوا خبر إن وقوماً خبر كانوا وفاسقين صفة وقد تقدمت الآيات التسع . (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين) الفاء عاطفة على محذوف وقد تقدم ذلك كثيراً ومبصرة حال وسيأتي معناها في باب البلاغة وجملة قالوا لا محل لها وهذا مبتدأ وسحر خبر ومبين صفة والجملة مقول القول . (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وجحدوا عطف على قالوا وبها متعلقان بجحدوا والواو للحال وقد بعدها مضمرة واستيقنتها أنفسهم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وظلماً مفعول لأجله لأنه علة للجحد أو حال من فاعل جحدوا أي ظالمين مستكبرين . (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الفاء الفصيحة وأنظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان وعاقبة المفسدين اسم كان والجملة معلقة لانظر عن العمل فهي محل نصب بنزع الخافض لأن انظر بمعنى تفكر .

البلاغـة :

١ ـ استعمال « أو » بدل الواو :

في قوله : « آنست ناراً سآتيكم منهـا بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » آثر « أو » على الواو لنكتة بلاغية رائعة فإن أو تفيد التخيير وقد بنى رجاءه على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم واحـدة منهما وهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار هضماً لنفسه واعترافاً بقصوره نحو ربه ، وقد كانت الليلة شاتية مظلمة وقد ضل الطريق وأخذ زوجته المخاض ، وهذا موطن تزلق فيه أقلام الكتاب الذين لا يدركون أسرار البيان وخاصة في استعمال الحروف العاطفـة والجارة وقد تقدمت الاشارة الى هذا الفن •

٢ ـ المجاز العقلي :

في إسناد الإبصار الى الآيات في قوله « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة » ويجوز أن يكون المجاز مرسلاً والعلاقة السببية لأنها سبب الإبصار وهذا أولى من قول بعضهم إن « مبصرة » اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل عـلى المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر •

الفوائـد :

أقوال المعربين في « في تسع آيات » :

تشعبت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وهي « في تسع آيات الى فرعون وقومه » وقـد اخترنا لك في الاعراب أمثلهـا وأسهلها ،

وسنورد بقية الوجوه لأنها واردة ومعقولة لتشحذ ذهنك وتختار منها ما تراه أدنى الى المنطق فالاعراب منطق قبل كل شيء .

أما الزمخشري فقد اكتفى بالوجه الذي اخترناه في الاعراب قال : « في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ، ولقائل أن يقول : كانت الآيات احدى عشرة اثنتان منها اليد والعصا ، والتسع : الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم » .

وقال أبو البقاء : « في تسع » حال ثالثة ، وأراد بالحالين الأولى والثانية قوله بيضاء وقوله من غير سوء ، والى فرعون متعلقة بمحذوف تقديره مرسلاً الى فرعون ويجوز أن يكون صفة لتسع أو لآيات أي واصلة الى فرعون .

وجعل الزجاج « في» بمعنى « من » وعلقها بألق قال : كما تقول خذ لي من الابل عشراً فيها فحلان أي منها فحلان .

وأما ابن عطية فقد أيّد الزجاج في تعليقها بألق وجعل « في » بمعنى « مع » لأن اليد والعصا حينئذ داخلتان في الآيات التسع وقال : تقديره يمهد لك ذلك وينشره في تسع . وقال آخرون هو كما قال ابن عطية وتكون اليد والعصا خارجتين من التسع .

واختار الجلال أن تتعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة « طه » حيث قال هناك : « تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى » فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(منطق الطير) المنطق مصدر نطق ينطق من باب ضرب نَطْقاً ومنطِقاً ونطوقاً أي تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني ، والمنطق الكلام وقد يستعمل في غير الإنسان يقال : سمعت منطق الطير ، وقال البيضاوي : « والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً مفيداً كان أو غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية من حيث

أنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات لا سيما وفيها ما يتفاوت بتفاوت الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه » .

وزاد الزمخشري على ما قاله البيضاوي : « وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم » .

هذا ويبدو أن الأصل الاشتقاقي لكلمة المنطق يظهرنا على الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة فإن الحيوان المفكر هو وحده الحيوان المتكلم وليست اللغة مجرد أداة اصطنعها العقل البشري للتعبير عن أغراضه ومراميه بل هي أيضاً وسيلة الى التجرد عن الأعراض الحسية واصطناع بعض الرموز أو الدلالات المعنوية .

وعلم المنطق هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسده فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء وفي الأحكام كما انه يهتم بالتعرف على المناهج المختلفة في دراساتهم المتعددة وأبحاثهم المتباينة ، حقاً ان موضوع المنطق هو التفكير الانساني بصفة عامة ولكن المنطق لا يقتصر على وصف العمليات الذهنية التي نقوم بها حين نفكر أو نحكم أو نجرد أو نتذكر أو نحل مشكلة بل هو يريد أيضاً أن يعيننا على التمييز بين الحكم الصحيح والحكم الخاطىء ، بين الاستدلال السليم والاستدلال الفاسد .

وقد اهتم فلاسفة اليونان الأقدمون بدراسة العلاقة بين صورة الفكر ومادته أي بين الناحية الشكلية للأحكام أو القضايا ومضمون التفكير نفسه فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق ، وهكذا اهتم سقراط وأفلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين فوضعا للرد عليهم أصول التفكير الجدلي السليم ، ثم

جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات والقسمة المنطقية وطرق ايراد البرهنة ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم « التحليلات الأولى » وان كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبايعته بأمارة المنطق .

أما في العصور الحديثة فقد ثار كل من بيكون وديكارت على منطق أرسطو بدعوى أنه منطق صوري مجدب ، ثم فطن المناطقة أخيرا الى ضرورة تخليص الفكر من سحر الألفاظ وتحريره من سلطان اللغة فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علماً رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية .

(يوزعون) : يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي وسلاف العسكر يعني متقدميهم كما في الصحاح ، وفي المختار : « وزعه يزعه وزعاً مثل وضعه يضعه وضعاً أي كفه فاتزع هو أي كفّ ، وأوزعه بالشيء أغراه به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استلهمته فألهمني والوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وجمعه وزعة ، وقال الحسن : لا بد للناس من وازع أي من سلطان يكفهم ، يقال وَزَعْتُ الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم » .

(نملة) : النمل والنمُل بضم الميم : حيوان حريص على جمع الغذاء يتخذ قرى تحت الأرض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات منعطفة يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء ، الواحدة نملة ونملة للذكر والانثى والجمع نمال .

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة أنه وقف على قتادة وهو يقول : سلوني فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت

ذكراً أم أنثى فلم يجب فقيــل لأبي حنيفة في ذلك فقــال كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة ، قال الزمخشري : « وذلك أن النملة مثــل الحمامة والشاة في وقوعها على المذكر والمؤنث فيميز بينهما بعلامة نحو حمامة ذكر وحمامة أنثى » .

ولا أدري أأعجب منه أم من أبي حنيفة ان يثبت ذلك عنه . وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لأنه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة أنثى كما يقال حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل ، ألا ترى الى قوله عليه الصــلاة والسلام لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء ، كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة ، فحينئذ قوله تعالى « نملة » روعي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء . وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث .

(أوزعني) : ألهمني ، وحقيقته اجعلني أزع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك . وقــد تقدم شرح هذه المادة .

الاعراب :

(ولقد آتينا داود وسليمان علمــاً) الواو استئنافية والكــلام مستأنف للشروع في القصة الثانية وهي قصة داود وسليمان ، واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وآتينا فعــل وفاعل وداود مفعول به وسليمان عطف على داود وعلماً مفعول به ثان . (وقالا الحمد لله الذي

فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الواو حرف عطف وقالا معطوف على مقدر تقديره فعملا بما أعطيا بالقلب بالعزم وعمــلا به بالجوارح بالمباشرة وعملا به باللسان فقالا • والحمد مبتــدأ ولله خبر والجملة مقول القول والذي اسم موصول صفة للــه وجملة فضلنا صلة وعلى كثير متعلقان بفضلنا ومن عباده صفة لكثير والمؤمنين صفــة لعباده • (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطــير) الواو استئنافية وورث سليمان داود فعل وفاعل ومفعول به وقال عطف على ورث ويا أيها الناس تقدم اعرابها وعلمنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل ومنطق الطير مفعول به ثان • (وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) وأوتينا عطف عــلى علمنا ومن كــل شيء متعلقان بأوتينا وإن هذا ان واسمها وهو كلام مستأنف مسوق على سبيل إيراد الشكر والمحمدة واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والفضل خبر إن أو خبر هو والجمــلة خبر إن والمبــين صفــة للفضــل • (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطــير فهــم يوزعون) الواو استئنافية وحشر فعل ماض مبني للمجهول ولسليمان متعلقان بحشر وجنوده نائب فاعل ومن الجن والانس والطير حال من جنوده والفاء الفصيحة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر وسيأتي في باب البلاغة ما يرويه التاريخ عن معسكر سليمان •

(حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) حتى حرف غاية لمحذوف تقديره فساروا حتى إذا أتوا ، ويجوز أن يكون غاية ليوزعون لأنه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض حتى اذا أتوا ، وعلى وادي النمل جار ومجرور متعلقان بأتوا وسيأتي سر تعليقه بأتوا في باب البلاغــة ، وجملة قالت نملة لا محل لها ويا أيها النمل تقدم اعرابها وادخلوا مساكنكم فعــل

وفاعل ومفعول به على السعة وسيأتي ما قاله السيوطي في الإتقان عن قول النملة . (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) نهي مستأنف لا تعلق له بما قبله أي لا تكونوا بحيث يحطمونكم ويجوز أن يكون الكلام بدلاً من جملة الأمر مثله وهو ادخلوا مساكنكم . وقد تصدى الزمخشري لهذا التعبير فقال « فإن قلت لا يحطمنكم ما هو ؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر وان يكون نهياً بدلاً من الأمر والذي جوز أن يكون بدلاً منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقه لا أرينك ها هنا » ولا ناهية ويحطمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به وسليمان فاعل وجنوده عطف على سليمان وهم الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر والجملة حالية . (فتبسّم ضاحكاً من قولها) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي فسمع قولها المذكور فتبسم «وضاحكاً حال مؤكدة وسيأتي سر ما أضحكه في باب الفوائد ومن قولها متعلقان بضاحكاً . (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي) وقال عطف على فتبسم ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وأوزعني فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به وأن وما في حيزها مفعول ثان لأوزعني لأنه مضمن معنى الإلهام أو نصب بنزع الخافض أي بأن أشكر نعمتك ، والتي صفة لنعمتك وجملة أنعمت صلة وعليّ متعلقان بأنعمت وعلى والدي عطف على عليّ . (وأن أعمل صالحاً ترضاه) جملة معطوفة . (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الواو حرف عطف وأدخلني فعل دعاء وفاعل ومفعول به وبرحمتك متعلقان بمحذوف حال والباء السببية وفي عبادك متعلقان بأدخلني والصالحين نعت لعبادك .

البلاغــة :

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى ندرجها فيما يلي :

١ ـ التنكير وأسراره :

ففي قوله : « وقد آتينا داود وسليمان علماً » التنكير وفائدته إفادة التبعيض والتقليل أو إفادة التعظيم والتكثير ، والثاني هو المراد هنا ، فظاهر قوله في ولقد آتينا داود وسليمان علماً في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه كأنه قال علماً أي علم وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستغرب ويستعظم ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات ، على أن كل علم بالاضافة الى علم الله قليل ضئيل •

قصة رائعة :

ونورد هنا قصة مروية جرياً على عادتنا في إدراج القصص المروية لتكون مصدر إلهام للكتاب ومعالم صبح لهم ، قال مقاتل : كان سليمان جالساً في معسكره ، وكانت مساحته مائة فرسخ في مائة ، خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش ، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وابريسم فرسخاً في فرسخ ، فمر به طائر يطوف وفي رواية رأى بلبلاً على شجرة فقال لجلسائه : أتدرون ما يقول هذا الطائر ؟ قالوا : الله ونبيه أعلم قال : يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهدهد فوق شجرة فقال : استغفروا الله يا مذنبون ، وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاوس فقال يقول : كما تدين تدان ، وصاح طيطوى فقال يقول : كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وصاح قمري

فأخبر أنه يقول : سبحان ربي الأعلى ، وقال الحدأ يقول : كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه ، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلون ، والنسر تقول : يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت ، والعقاب يقول في البعد من الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان ربي الاعلى .

٢ ـ استعمال حرف الجر :

وقال « حتى إذا أتوا على وادي النمل » فعدّى أتوا بعلى لأن الإتيان كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية فقال :

فلشد ماجاوزت قدرك صاعد ولشدّ ما قربت عليك الأنجم

فقد عنى بالأنجم أبيات شعره ويقول : ما أشد ما تجاوزت قدرك حتى بعثت تسألني المديح ومسألتك إياي مدحك تجاوز منك لقدرك حين طلبت أن تهبط الأنجم من سمواتها لتكون قريبة منك ، وهذا البيت من أمض الهجاء وأقذعه وهو من قصيدة لأبي الطيب المتني فقد سافر من الرملة يريد أنطاكية فنزل بطرابلس وبها اسحق بن ابراهيم الاعور بن كيغلغ وكان جاهلاً يجالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة فقالوا له أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ، وجعلوا يغرونه فراسله أن يمدحه فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحداً الى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ، ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يوماً فهجاه أبو الطيب المتنبي وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج

خرج كأنه يسير فرسه وسار الى دمشق فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فأعجزهم وظهرت القصيدة وأولها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضاً نظرتُ وخلت أني أسلم

ومن أبياته الحكيمة فيها :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى
يققاً يميت ولا سواداً يعصم

والهم يخترم الجسيم نحافةً
ويشيب ناصية الصبيّ ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلقٌ
ينسى الذي يولى وعاف يندم

لا يخدعنّك من عدوّ دمعُه
وارحم شبابك من عدوٍّ ترحم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتّى يراق على جوانبه الدّم

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ثم تطرق الى هجاء ابن كيغلغ فقال وأقذع :

يحمي ابن كيغلغ الطريق وعرسه
ما بين رجليها الطريق الأعظم
أقم المسالح فوق شفر سكينة
إن المني بحلقتيها خضرم
وارفق بنفسك إن خلقك ناقص
واستر أباك فإن أصلك مظلم
واحذر مناوأة الرجال فإنما
تقوى على كسر العبيد وتقدم
وغناك مسألة وطيشك نفخة
ورضاك فيشلة وربك درهم

ثم يعود الى الحكمة الملائمة فيقول :

ومن البلية عذل من لا يرعوي
عن غيه وخطاب من لا يفهم
يمشي بأربعة على أعقابه
تحت العلوج ومن وراء يلجم

وجفونـــه ما تستقـــر كأنهـــا
مَطْروفـةٌ أو فتَّ فيهـا حصـرم

وإذا أشـــار محـــدثاً فكأنـــه
قـردٌ يقهقـــه أو عجـوزٌ تلطـم

يقـــلى مفارقـــة الأكفّ قذالـــه
حتى يكـــاد عـــلى يد يتعمّـــم

وتـراه أصغـــر ما تـراه ناطقـــاً
ويكون أكـــذب ما يكون ويقســـم

والـــذل يظهـــر في الذليـــل مودةً
وأودُّ منـــه لمـن يودُّ الأرقـــم

ومن العـــداوة ما ينـــالك نفعـــه
ومن الصـــداقة ما يضـــر ويؤلـــم

والقصيدة كلها من هذا النمط البديع فحسبنا ما أوردناه منها ، ونعود الى ما نحن بصدده فنقول : ويجوز أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا بلغ آخره .

٣ ــ التوليد :

وقد اشتملت الآية « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » على أحد عشر نوعاً من البلاغــة يتولد بعضها من بعض وقــد ذكرها السيوطي في كتابه « الاتقان » أي قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات والمراد قالته على وجه النصيحة وقد اشتمل هــذا القول منها عــلى أحد عشر نوعاً من البلاغة :

أولهـــا : النداء بيا .

وثانيهـــا : كنّت بأي .

وثالثهـــا : نبّهت بها التنبيه .

ورابعهـــا : سمّت بقولها النمل .

وخامسها : أمرت بقولها ادخلوا .

وسادسها : نصّت بقولها مساكنهم .

وسابعها : حذرت بقولها لا يحطمنكم .

وثامنهـــا : خصّصت بقولها سليمان .

وتاسعها : عمّمت بقولها وجنوده .

وعاشرها : أشارت بقولها وهم .

وحادي عشرها: عذرت بقولها لا يشعرون .

هذا وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان وبقرة بني اسرائيل :

فمــا ميـــت أحيــا لــه اللـــه ميتاً

ليخبـــر قومـــاً أنــذروا بيـــيان

وعجفـاء قـد قامت لتنـــذر قومهـا

واهـــل قراها رهبـــة الحـــدثان

الفوائـد :

١ ــ ما الـذي أضحك سليمان ؟ وانما ضحك سليمان من قول النملة لشيئين :

أولهما : ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا •

وثانيهما : سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قالته النملة وهي مثـل في الضـآلة والقماءة ، والانسان إذا رأى أو سمع مالا عهد له به ضحك •

٢ ــ الحال المبنية والمؤكدة :

الحال ضربان مؤسسة وتسمى أيضاً مبينة وهي التي لا يستفاد معناها بدونها كجاء زيد راكباً فلا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً، ومؤكـدة وهي التي يستفاد معناها بدون ذكرها ، وهـذه تنقسم الى ثلاثة أقسام :

آ ــ مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولاً » فرسولاً حال من الكاف وهي مؤكدة لعاملها وهو أرسلنا لفظاً ومعنى •

ب ــ مؤكدة لعاملها معنى فقط واللفظ مختلف نحو « فتبسم

ضاحكاً » فضاحكاً حال من فاعل تبسم وهي مؤكدة لعاملها معنى فقط لأن التبسم نوع من الضحك واللفظ مختلف .

حـ ــ مؤكدة لصاحبها نحو « لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » فجميعاً حال من فاعل آمن وهو من الموصولة مؤكدة لها . وهناك أقسام أخرى للحال المؤكدة يرجع اليها في المطولات .

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٢٦) ۩

اللغـــة :

(الهُدْهُد) والهُدَهِد والهُداهِد طائر ذو خطوط وألوان كثيرة الواحدة هُدْهُدَة وهُدَهِدَة وهُداهِدة والجمع هَداهِد

وهَداهيد ، ويقولون أبصر من هدهد لأنهم يزعمون أنه يرى الماء تحت الأرض ، والهَدْ هد أيضاً كل ما يقرقر من الطير والحمام الكثير وستأتي قصته مع سليمان في باب الفوائد .

(فسكث) : بضم الكاف وفتحها والأول من باب قرب والثاني من باب نصر وفي القاموس وغيره : مكث يمكث من باب نصر مَكْثاً ومَكَثاً ومكوثاً ومُكثاناً ومِكِّيثَى ومِكّيثاء بالمكان أقام ولبث فهو ماكث والاسم المُكث والمِكث ومكث يمكث من باب قرب مَكَاثةً : لبث ورزن .

(سبأ) : بلاد واقعة جنوب غربي الجزيرة العربية في اليمن ذكرت في كتب العهد القديم وفي مؤلفات العرب واليونان والرومان كانت على جانب عظيم من الحضارة ، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة .

وقال الزمخشري في الكشاف : « سبأ قرىء بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء ، وعن ابن كثير في رواية سبأ بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ، ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرف قال :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

وقال :

الواردون وتيم في ذرا سبأ ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم » .

معنى ذهبوا أيدي سبا :

هذا ويقال ذهبوا أيدي سبا وفيه لغتان أيدي سبا وأيادي سبا وله حالتان : إما أن تركب الاسمين اسماً واحداً وتبنيهما لتضمن حرف العطف كما فعلوا بخمسة عشر والثانية أن تضيف الأول الى الثاني وموضعهما النصب على الحال والمراد ذهبوا متفرقين ومتبددين ونحوهما، واذا اعترض بأن سبا معرفة قيل بأن تركيبهما طاح بمعنى العلمية وصارا اسماً واحداً ، وأصل هذا المثل أن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد فقيل لكل جماعة تفرقت ذهبوا أيدي سبا ، والمراد بالأيدي الأبناء والأسرة لا نفس الجارحة لأن التفرق وقع بهم واستعير اسم الأيدي لأنهم في التقوى والبطش بهم بمنزلة الأيدي .

(الخبْء) : مصدر بمعنى المخبوء يقال خبأت الشيء أخبؤه خبئاً من باب نفع أي سترته ، والخبء في السموات المطر وفي الأرض النبات .

الاعراب :

(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) كلام مستأنف للشروع في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كانت فيه قصة النمل . وتفقد فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أي سليمان والطير مفعول به فقال عطف على تفقد وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ولي خبره وجملة لا أرى الهدهد حال وأم منقطعة وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على الهدهد

ومن الغائبين خبر كان • (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) اللام موطئة للقسم وأعذبنه فعل مضارع مبني عـلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والهاء مفعول به وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صفة أو لأذبحنه عطف عـلى لأعذبنه أو ليأتيني عطف عليه أيضاً وبسلطان متعلقـان بيأتيني ومبين صفة • (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الفاء استئنافية ومكث فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الهدهد أو على سليمان وغير بعيد ظرف زمان متعلق بمكث أو على الأصح صفة لظرف محذوف نابت عنه أي وقت غير بعيد أو مكاناً غير بعيد فهو ظرف مكان ، فقال عطف على مكث وهذا يؤيد عودة الضمير الى الهدهد وجملة أحطت مقول القول وبما متعلقان بأحطت وجملة لم نحط صلة وبه متعلقـان بتحط وجئتك عطف عـلى أحطت ومن سبأ متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصـل صفة لنبأ وبنبأ متعلقـان بجئتك ويقين صفة لنبأ • (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) ان واسمها وجملة وجدت امرأة خبر إني وجملة تملكهم صفة لامرأة وأوتيت الواو عاطفـة أو حالية وجملة أوتيت إما معطوفة على جملة تملكهـم وساغ عطف الماضي عـلى المضارع لأن المضارع بمعنى الماضي أي ملكتهم وإما حالية من فاعل تملكهم وقد مقدرة ومن كل شيء متعلقان بأوتيت أو بمحذوف هو مفعول أوتيت الثاني والتقدير أيضاً من كل شيء ولها خبر مقدم وعرش مبتدأ مؤخر وعظيم صفة •

(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) جملة وجدتها بدل من وجدت امرأة فهي داخلة في حيز الخبر ووجدتها هنا تتعدى لواحد لأنها بمعنى لقيتها والهاء مفعول به وقومها عطف على الهاء أو

مفعول معه وجملة يسجدون حال من مفعولها وما عطف عليه وللشمس متعلقان بيسجدون ومن دون الله حال • (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) الواو حرف عطف وزين فعل ماض ولهم متعلقان به والشيطان فاعله وأعمالهم مفعوله فصدهم عطف على زين وعن السبيل متعلقان بصدهم ، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يهتدون خبر • (ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) يجب حذف النون في الرسم اتباعاً لسنة المصحف وأن هي حرف مصدري ونصب ولا زائدة والمعنى أن يسجدوا ، وهذا المصدر المؤول معمول لقوله لا يهتدون لكن بنزع الخافض وهو الى والمعنى فهم لا يهتدون الى السجود وعلى هذا الاعراب لا يصح الوقوف على يهتدون ، ويجوز أن يكون المصدر بدلاً من أعمالهم والتقدير وزين لهم الشيطان أعمالهم عدم السجود ، ويجوز أن يكون بدلاً من السبيل ، وقرىء بتخفيف ألا فهي حرف تنبيه واستفتاح ويا حرف نداء والمنادى محذوف واسجدوا فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطاً لما سقطت لفظاً ووصلوا يا بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما ترى فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً واختلفتا تقديراً وسيأتي بحث اختلاف النحويين في « يا » الداخلة على فعل أو حرف في باب الفوائد • ولله متعلقان بيسجدوا والذي موصول نعت لله وجملة يخرج الخبء صلة وفي السموات والأرض متعلقان بالخبء أي المخبوء في السموات أو بيخرج على أن « في » بمعنى « من » أي يخرجه من السموات والأرض • (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) ويعلم عطف على يخرج فهو داخل في حيز الصلة وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله وما موصول مفعول به وجملة تخفون صلة وما تعلنون عطف على

ما تخفون . (الله لا إلـه إلا هو رب العرش العظيم) كلام مستأنف مسوق للثناء على عرش الله العظيم بعد الالماع الى عرش بلقيس وبينهما بون" عظيم .

البلاغـة :

جناس التصريف :

في قولـه « وجئتك من سبأ بنبأ يقـين » جناس التصريف وهو اختلاف صيغة الكلمتين بابدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب من مخرجه وهو من محاسن الكلام المتعلقـة باللفظ شريطة أن يأتي جارياً مع الطبع بعيداً عن التكلف محتفظاً بصحة المعنى ، ولقـد جاء هنا زائداً على الصحة فحسن وروق" ، ألا ترى أنه لو قال بخبر بدلا" من بنبأ لصح المعنى واستقام ، ولكنه جاء منغوماً عذب الجرس لاتفاق سبأ ونبأ وقد تقـدم مثله في قوله بسورة الانعـام « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

الفوائـد :

١ ـ قصة سليمان والهدهد :

وجرياً على عادتنا نورد إحدى الروايات المذكورة عن قصة سليمان والهدهد لما فيها من جـذور قصصية وتمهيداً للنابغـين الملهمـين من كتاب القصص :

روي أن سليمان حين فرغ من بنـاء بيت المقدس تجهز للحـج

حشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كلّ يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ، ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه أي دليله الهادي وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتفقده لذلك ، وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً آخر واقعاً فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد وتحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر الى الدنيا كالقصعة ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلاً فانقضّ العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال بحق الذي قواك وأقدرك إلا ما رحمتني فتركه وقال ويلك ثكلتك أمك ، إن نبيّ الله قد حلف ليعذبنك قال : وما استثنى نبي الله ؟ قال بلى قال : أو ليأتيني بسلطان مبين فقال : نجوت إذن ، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض متواضعاً لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه اليه فقال : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد : أحطت بما لم تحط به الخ ...

نكتة بيانية :

قال الزمخشري : « فإن قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه

على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان ؟ قلت : لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الأمور ، يعني إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية » .

٢ ــ من هي بلقيس ؟ :

أما بلقيس فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس ابن صيغي بن سبأ وقال ابن الكلبي : كان أبوها من عظماء الملوك وستأتي قصتها وذكر الحريري في درة الغواص :

ان صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لأن كل أعجمي يعرب فقياسه أن يلحق بأمثلة كلام العرب وعلى ذلك بلقيس ، وفي أخبار سيف الدولة ان الخالديين مدحاه فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشام فكتبا اليه :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً
إلا ومالك في النوال حبيس

خولتنا شمساً وبدراً أشرقت
بهما لدينا الظلمة الحنديس

رشأ أتانا ، وهو حسنا يوسف
وغزالة هي بهجة ، بلقيس

هـــذا ولـم تقنـــع بذاك وهـــذه
حتى بعثت المـــال وهـــو نفيس

أتت الوصيفـــة وهي تحمـــل بدرة
وأتى عـــلى ظهـــر الوصيف الكيس

وكسوتنا مـــا أجـــادت حوكـــه
مصـــر وزادت حسنه تنيســـ

فغـــدا لنا من جـــودك المأكول والـ
ـمشروب والمنكـــوح والملبـــوس

فلما قرأها سيف الـــدولة قـــال : أحسنا إلا في لفظ المنكوح إذ لبست مما يخاطب بها الملوك • هذا وقد كانت قصة بلقيس وصرحها الممرد مصدر إلهام للشعراء : فقد أورد البحتري ذلك كله في قصيدة له يمدح بها المتوكل ويذكر بناء البركة المشهورة ومنها :

يا من رأى البركـــة الحسناء رؤيتهـــا
والآنســـات إذا لاحـــت مغانيهـــا

بحسبهـــا أنهـــا في فضل رتبتهـــا
تعـــدّ واحـــدة والبحـــر ثانيهـــا

كـــأن جن سليمـــان الـــذين ولوا
إبداعهـــا فأدقـــوا في معانيهـــا

فلـــو تسـر بهـــا بلقيس عن عرُض
قالت هي الصـــرح تمثيـــلاً وتشبيهاً

٣ ــ سجدات القرآن :

وعلى ذكر قوله « ألا يسجدوا لله » أن أبا حنيفة والشافعي اتفقا على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا في سجدة « ص » فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج .

٤ ــ قصة سيل العرم وتفرق العرب أيادي سبا :

ونورد هنا بعض الاساطير المروية للطرافة والفائدة :

وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب الذين مزقهم الله كل ممزّق وسمي سبأ لأنه أول من سبى السبي وقيل سبأ اسم أمهم ومأرب اسم بلدهم ، وكانت سبأ من أحسن بلاد الله وأخصبها وأكثرها شجراً وماء وقد ذكر الله أنها كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر في شهر للمجدّ الراكب يسير في جنـان من أولهـا إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء ، فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، وكانت في بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم في دفع السيل فأجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف المـاء واتخـذ سداً في موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجاري للماء في استدارة

الذراع فإذا جاء السيل تصرف في المجاري الى جناتهم ومزروعاتهم بتقدير يعمهم نفعه ، وذكر الأعشى في شعره أن حميراً بنته فقال :

رخام بنته لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم
وأروى الزروع وأعنابهم على سعة ماؤهم قد قسم
فعاشوا بذلك في غبطة فحاق بهم جارف منهدم

ولما انتهى الملك الى عمرو بن عامر مزيقياء وسمي بذلك لأنه كان يمزق كل ليلة حلة كبراً من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمي بذلك لأنه مزق الأزد في البلاد ، وكان أخوه عمران كاهناً فأتته كاهنة تدعى ظريفة فأخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وأنذرته ، فجمع أهل مأرب وعمل لهم طعاماً فأخبرهم بشأن السيل فأجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه إني أصف لكم بلداناً فاختاروا أيتها شئتم فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة ، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الأوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والأمر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهي من أرض الشام فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والأوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الأزد وتخلف مالك بن اليمان في قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد

حروب فنزلوا بجبال الشراة على تخوم الشام فلما تفرقت البلاد هـذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا •

* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(أفتوني) : أشيروا عليّ والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السنّ والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم كما ذكرنا فيما حـدث لها من الرأي والتدبير • وفي الأساس : « وفلان من أهل الفتوى والفتيا وتعالوا ففاتونا ، وتفاتوا إليه : تحاكموا ، قال الطرماح :

هلمّ إلى قضـاة الغوث فاسأل برهطك والبيان لـدى القضاة

أنخ بفناء أشدقَ من عـديّ ومن جَرْمٍ وهم أهل التفاتي

وقال عمر بن أبي ربيعة :

فبتّ أفاتيهـا فلا هي ترعوي بجود ولا تبدي إباء فتبخـلا

أي أسائلها » .

هذا ويجوز ضم الفاء وفتحها كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة قال: « قالوا: فتوى وفتيا وبقوى وبقيا وثنوى وثنيا ورعوى ورعيا » .

(أولو قوة) : اسم جمـع بمعنى أصحاب ، والواحد ذو بمعنى صاحب وقيل جمع ذو على غير لفظه وقد تقدم أنها من الملحقات بجمع المذكر السالم والمؤنث أولات وواحدتها ذات تقول : جاء أولو العلم وأولات الفضل .

الاعراب :

(قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ عن حكاية الهدهد وجملة سننظر مقول القول والهمزة للاستفهام وصدقت فعـل وفاعـل وأم متصلة معادلة للهمزة وكان واسمها ومن الكاذبين خبرها وعدل عن الفعل المطابق لما قبله الى الاسم لنكتة بلاغية تقدمت الاشارة اليها أكثر من مرة . وهي جعله واحد من الفئة الموسومة بالكذب . (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهـم فانظر ماذا يرجعون) لا بد من تقـدير كلام محذوف لتتناسق حوادث القصة أي ثم دلهم عـلى المـاء فاستخرجوه وارتووا وتوضئوا وصلوا ، ثم كتب سليمان كتاباً هذه صورته : من عبد الله

سليمان الى بلقيس ملكة سبأ ، بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ثم ختمه بخاتمه ، ثم قال للهدهد : اذهب ، فالجملة مقول قول محذوف ، واذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبكتابي متعلقان باذهب وهـذا نعت لكتابي أو بدل منه ، فألقه الفاء عاطفة وألقه فعل أمر وفاعـل مستتر ومفعول به واليهـم متعلقان بألقه ثم حـرف عطف وتول فعـل أمر عـلى حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقـديره أنت وعنهم متعلقان بمحذوف حال أي متجاوزاً إياهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ، فانظر عطف على تول ، وماذا يرجعون : في هذا التعبير وجهان :

أولهمـا : أن تكون انظر بمعنى تأمـل وتفكر فتكون ماذا اسم استفهام في محـل نصب مفعول مقـدم ليرجعون تقـديره أي شيء يرجعون ، أو تجعل ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذي خبر ما وجملة يرجعون صلة ذا والعائد محذوف تقديره أي شيء الذي يرجعونه ، وعلى كلا التقديرين فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل وهو انظر بالاستفهام فمحلها النصب على نزع الخافض أي انظر في كذا وفكر فيه .

وثانيهما : أن تكون انظر بمعنى انتظر من قوله تعالى : « انظرونا نقتبس من نوركم » فتكون ماذا كلها اسم موصول وهو أحد أوجه مـاذا التي ستأتي في باب الفوائـد وهي مفعول به أي انتظر الـذي يرجعونه وجملة يرجعون صلة والعائد محذوف كما تقدم والمعنى ماذا يردون من الجواب أو ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول .

(قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم) لا بد من تقدير كلام محذوف روعي في حذفه الايجاز وتقديره كما قال مقاتل : « حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها وسيأتي مزيد من الروايات في تقدير هذا المحذوف . وإني إن واسمها وجملة ألقى خبرها وإليّ متعلقان بألقي وكتاب نائب فاعل وكريم صفة وسيأتي سر هذا الوصف في باب البلاغة .

(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال مقدر كأنهم قالوا ممن هو ؟ وما هي منطوياته ؟ فقالت أنه من سليمان وان واسمها ومن سليمان خبرها وانه الواو عاطفة وان واسمها وجملة البسملة خبرها وقد تقدم اعراب البسملة في صدر هذا الكتاب . (ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) أن مفسرة والمفسر كتاب لتضمنه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتعلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وعليّ متعلقان بتعلوا ويجوز أن تكون أن مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف أي مضمونه أن لا تعلوا أو في محل نصب بنزع الخافض أي بأن لا تعلوا ، وأتوني الواو عاطفة وائتوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به ومسلمين حال . (قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري) أفتوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية

والياء مفعول به وفي أمري متعلقان بأفتوني . (ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) ما نافية وكنت قاطعة كان واسمها وخبرها وأمراً مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتشهدون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وعلامة نصب حذف النون والنون الموجودة نون الوقاية وياء المتكلم المحذوفة مفعول به . (قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) جملة نحن مقول القول ونحن مبتدأ وأولو خبر وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وقوة مضاف اليه وأولو بأس شديد عطف على ما تقدم . (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) الواو حرف عطف والأمر مبتدأ وإليك خبر أي موكول إليك ونحن مطيعون لك ، فانظري الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن مقدر كأنما تصوروا أنها قد تكون راغبة في القتال أو أنهم راغبون فيه فإن أردت ذلك وعزمت على خوض الحرب فنحن أبناء بجدتها وانظري أي فكري وماذا اسم استفهام وقد تقدم اعرابها وستأتي وجوهها وهي هنا في محل نصب مفعول مقدم لتأمرين والاستفهام معلق للنظر .

البلاغة :

في هذه المحاورة التي جرت بين بلقيس وبين الملأ من قومها وفي الوصف لكتاب سليمان بعد ذكر العنوان والتسمية فنون عديدة نورد أهمها فيما يلي :

١ ــ الاشارة :

وهذا الفن سبقت إليه الاشارة في هذا الكتاب وقد فرعه قدامة

من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه فقال : هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد فإنها تشير بحركة واحدة الى أشياء كثيرة ، والفرق بينه وبين الايجاز أن الايجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له وألفاظ الإشارة لمحة خاطفة دالة ، فدلالة اللفظ بالإيجاز دلالة مطابقة ودلالة اللفظ في الاشارة إما دلالة تضمن أو دلالة التزام ، والدلالة هنا دلالة تضمن ، فقد وصفت كتاب سليمان بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو لأنه مختوم ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كرم الكتاب ختمه » وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به .

وروي أنها كانت راقدة وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل الهدهد من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وقالت لقومها ما قالت .

٢ ـ الايجاز :

في قولهم : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين » ايجاز عجيب فهو أولاً يدل على تعظيم المشورة وتعظيم بلقيس أمر المستشار ، وهو ثانياً يدل على تعظيمهم أمرها وطاعتها وفي قولهم « والأمر إليك » وقولهم « فانظري ماذا تأمرين » إيجاز يسكر الألباب ، قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

في كتابه إعجاز القرآن : « فإن الكلام قد يفسده الاختصار ويعيبه التخفيف منه والايجاز ، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه » الى أن يقول : « وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد وإذا اختصر كمل في بابه وجاد واذا سرح الحكيم في جوانبه طرف لخاطره وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه لم يقع إلا على محاسن تتوالى وبدائع تترى » .

الفوائد :

عقد ابن هشام في المغنى فصلاً لـ « ماذا » نلخصه فيما يلي ونعرب أمثلته :

تأتي ماذا في العربية على أوجه :

١ ـ أن تكون ما استفهامية وذا اشارة نحو ماذا التواني ؟ ماذا الوقوف ؟ فما اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والتواني بدل أو عطف بيان أي : أي شيء هذا التواني ؟

٢ ـ أن تكون ما استفهامية وذا موصولة كقول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي أم ضلال وباطل

فما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة يحاول صلة والهمزة للاستفهام ونحب بدل من ما .

٣ ــ أن يكون ماذا كله استفهاماً على التركيب كقولك لماذا جئت وقولـــه :

يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى الديرين تحنانا

فماذا اسم استفهام مركب مبتدأ وبال نسوتكم خبر .

٤ ــ أن يكون مـاذا كله اسم جنس بمعنى شيء أو موصـولاً بمعنى الذي على خلاف تخريج قول الشاعر :

دعي مـاذا علمـت سأتقيه ولكـن بالمغيّب نبئيني

فالجمهور على أن ماذا كله مفعول دعي ثم اختلف فقيل موصول بمعنى الذي وقيل نكرة بمعنى شيء وهناك وجهان ذكرهما ابن هشام ولم نر حاجة اليهما لأنهما لا يقعان في فصيح الكلام .

قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

الاعراب :

(قالت ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) كلام مستأنف مسوق للرد على مستشاريها أي لم ترض بما أشاروا به وهو خوض الحرب بل مالت للسلام وعقد الصلح وعللت ذلك بقولها إن الملوك ... وكأنها تلمع لهم بسوء مغبة الحرب وعواقبها المخيفة وآثارها الكثيرة . فإن واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دخلوا في محل جر بإضافة الظرف اليها وقرية مفعول به على السعة وجملة أفسدوها جواب شرط غير جازم لا محل لها وجملة الشرط وجوابه خبر ان . (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) الواو عاطفة وجعلوا فعل وفاعل وأعزة أهلها مفعول جعلوا الأول وأذلة مفعول جعلوا الثاني وكذلك الواو عاطفة لأن ذلك من جملة كلامها وكذلك نعت لمصدر محذوف تقدمت له نظائر ، أرادت هذه عاداتهم المستمرة وديدنهم الثابت . (وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) ان واسمها ومرسلة خبرها واليهم متعلقان بمرسلة وبهدية متعلقان بمرسلة أيضاً فناظرة عطف على مرسلة وبم الباء حرف جر وما الاستفهامية المحذوف ألفها في محل جر بالباء والجار والمجرور بيرجع ولا يجوز تعلقها بناظرة كما أعربها الحوفي لأن الاستفهام له الصدر،فلا يعمل ماقبله فيه وإلا خرج عما ثبت له ، وللمفسرين كلام طويل في هذه الهدية لا يحتمل ذكرها صدر هذا الكتاب ، ويرجع المرسلون فعل وفاعل والجملة مفعول به لناظرة .

(فلما جاء سليمان قال : أتمدونن بمال) الفاء عاطفة على محذوف لا بد من تقديره فأعدت الهدية مع رسول بكتاب وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة . ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وجاء سليمان فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو أي الرسول وسليمان مفعول به وجملة قال لا محل لها والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتمدونن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة مفعول به وبمال متعلقان بتمدونن أي تعاونونني بالمال . (فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) الفاء حرف تعليل لما تقدم من انكاره عليهم وتوبيخه إياهم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتاني صلة وآتاني الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وخير خبر ما وبل حرف اضراب انتقالي لبيان السبب الذي حداهم الى امداده بالمال وأنتم مبتدأ وبهديتكم متعلقان بتفرحون وجملة تفرحون خبر . (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) الخطاب لأمير الوفد وارجع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واليهم متعلقان بارجع وقيل الخطاب للهدهد محملاً إياه رسالة أخرى والفاء استئنافية واللام موطئة للقسم ونأتينهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والميم علامة جمع الذكور وبجنود متعلقان بنأتينهم ولا نافية للجنس وقبل اسمها المبني ولهم خبر وبها متعلقان بقبل لتضمنه معنى المصدر لأن حقيقته المقابلة والمقاومة ، يقال : مالي به قبل أي طاقة ويقال لي قبل فلان دين أي عنده ، وأتاني من قبله أي من

عنده ، فتكون بمعنى المصدر وبمعنى الظرف . (ولنخرجنهم منها أذلّة وهم صاغرون) ولنخرجنهم عطف على فلنأتينهم ومنها متعلقان بنخرجنهم والضمير يعود الى سبأ أي بلادهم وأذلة حال وهم الواو حالية وهم مبتدأ وصاغرون خبر والجملة حال ثانية من الهاء في لنخرجنهم .

البلاغة :

الايجاز :

في هذه الآيات ايجاز بليغ يحسن بنا أن نتدبره لأن المدار فيه على المعاني دون الألفاظ فرب لفظ قليل ينطوي على معنى كثير وقد تقدم معنا أن الايجاز قسمان أحدهما ايجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد وايجاز بالقصر ، وفي هذه الآيات ايجاز بالحذف وهو قوله « بم يرجع المرسلون » ثم قوله « فلما جاء سليمان » فقد حذف هنا ما لو أظهر لظهر الكلام غثاً لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن ، لأن الخاطر قد يذهب كل مذهب ، وقد يترك العنان للخيال ليجول في آفاق لا نهاية لها ليتصور الهدية التي أعدتها مما يتولى الشرح إظهاره . فقد روي أن بلقيس كانت امرأة عاقلة لبيبة قد ساست الأمور، وسبرت أغوار الناس وكانت تعرف أن سليمان لو كان نبياً لترفع عن أخذ الهدية ولو كان ملكاً لأخذها ، فأحبت أن تتأكد من هذه المسألة ، وروي أيضاً أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج ومحلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك أي اناث الخيل في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً

بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها وهما المنذر بن عمرو وآخر ذا عقل ورأي ثم قالت للمنذر : إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنّك أمره وان رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي ، فأقبل الهدهد فأخبر سليمان بما تم فأمر سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فربطوها عن يمين الميدان ويساره وأمر أولاد الجن وهم خلق كثير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم ، فقالت هو نبي وما لنا به من طاقة وتجهزت الى المسير الى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثنى عشر ألف قيل أي ملك وهو بفتح القاف سمي قيلاً لأنه ينفذ كل ما يقول ، الى أن قربت منه على فرسخ فشعر بها .

هذا والهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى اليه ، تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو اهديت اليه والمضاف اليه في قوله « بل أنتم بهديتكم » هو المهدى اليه .

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠

ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

اللغـــة :

(عفريت) : العفريت : الخبيث المنكر والنافذ في الأمر مع دهاء وذلك من الانس والجن والشياطين وجمعـه عفاريت ومؤنثه عفريتة والعفرية مثله وقد قرىء به ويقال رجل عفرية وعفر وعفـير إذا كان صحيحاً شديداً مونق الخلق أخذ من عفر الأرض وهو التراب أي من علق به من عفره بالأرض ، ومنـه ليـث عفرين أي ليث ليوث معفر نفريسته ، قال الخليل ، رجل عفار بين العفارة إذا وصف بالشيطنة ،

والعفير أيضاً الظريف الكيس ، ويقال للشيطان عفريت وعفرية وفي الحديث « إن الله ليبغض العفريت النفريت » قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدي دخل رجل عظيم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : متى عهدك بالحمى قال : ما أعرفها قال فبالصداع قال : ما أدري ما هو قال : أفأصبت بمالك قال لا قال : أفرزئت بولدك قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليبغض العفريت النفريت وهو الذي لا يرزأ .

(الصرح) : قال في الكشاف : الصرح : « القصر وقيل صحن الدار » وأصله من التصريح وهو الكشف ، وكذب صراح أي ظاهر مكشوف ، ولؤم صراح ، ولبن صريح أي ذهبت رغوته وخلص ، وعربي صريح من عرب صرحاء : غير هجناء ، وكأس صُراح : لم تمزج ، وصرحت الخمرة : ذهب عنها الزبد ، ولقيته مصارحة : مجاهرة ، وصرح النهار : ذهب سحابه وأضاءت شمسه ، قال الطرماح في وصف ذئب :

إذا امتلّ يعدو قلت ظلّ طخاءة

ذَرَى الريح في آعقاب يوم مصرّح

(ممرّد) : الممرّد : المملّس وسيأتي سر بنائه في باب الفوائد ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي نعومته لعدم وجود الشعر به وفي القاموس: « التمريد في البناء التمليس والتسوية وبناء ممرد : مطول والمارد المرتفع والعاتي » .

(قوارير) : في المصباح : « القارورة إناء من زجاج والجمع القوارير والقارورة أيضاً وعاء الرطب والتمر وهي القوصرة وتطلق

القارورة على المرأة لأن الولد أو المني يقر في رحمها كما يقر الشيء في الإناء أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها ، قال الأزهري : والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة » وفي القاموس « والقارورة حدقة العين وما قر فيه الشراب أو نحوه أو يخص بالزجاج ، وقوارير من فضة أي من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج » .

الاعراب :

(قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) فاعل قال سليمان والخطاب لكل من هو عنده من الجن والانس وغيرهما ، وأيكم مبتدأ وجملة يأتيني بعرشها خبر والظرف متعلق بيأتيني أيضاً وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف اليه ومسلمين حال . (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال فعل ماض وعفريت فاعل ومن الجن صفة وأنا مبتدأ وجملة آتيك به خبر والظرف متعلق بآتيك ومن مقامك متعلق بتقوم أي قبل أن تبارح مجلسك الذي تجلس فيه للقضاء من الغداة الى منتصف النهار . (وإني عليه لقوي أمين) الواو عاطفة وان واسمها وعليه متعلقان بقوي واللام المزحلقة وقوي خبر وأمين خبر ثان أي قوي على حمله أمين به لا أختلس منه شيئاً ولا أعبث به . (قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) لا بد من تقدير محذوف على طريق الايجاز كما تقدم وهو قال سليمان أريد أن يتم ذلك في أسرع وقت . وقال فعل ماض والذي فاعل والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعلم مبتدأ مؤخر ومن الكتاب صفة لعلم والجملة صلة الموصول وأنا مبتدأ وجملة آتيك به خبر والجملة مقول القول وتقدم اعراب الباقي وسيأتي معنى ارتداد الطرف في باب البلاغة . (فلما رآه مستقراً

عنده قال هذا من فضل ربي) الفاء عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام ويروى أن آصف بن برخيا وهو الذي عنده علم من الكتاب المنزل قال لسليمان مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمين ودعا آصف بالعلم الذي لديه فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبغ بمجلس سليمان ، ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة ورآه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ومستقراً حال لأن الرؤية بصرية أي ثابتاً والظرف متعلق بمستقراً وجملة قال لا محل لها من الاعراب وهذا مبتدأ ومن فضل ربي خبر •

(ليبلوني أأشكر أم أكفر) اللام للتعليل ويبلوني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وفاعل يبلوني يعود على ربي والياء مفعول وأأشكر الهمزة للاستفهام وأشكر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وجملة أأشكر بدل من الياء في يبلوني فهو بمثابة المفعول به وأم أكفر عطف على أأشكر • (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وشكر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان حرف مشبه بالفعل و مامصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر اسم ان أي فإن ثواب شكره ، ولنفسه هو الخبر وفعل الشرط وجوابه خبر من ومن كفر فإن ربي غني كريم جملة معطوفة على الجملة السابقة مماثلة لها في الاعراب • (قال : نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) نكروا فعل أمر والواو فاعل ولها متعلقان بنكروا وعرشها مفعول به أي غيّروه ، وننظر فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وقرىء بالرفع على الاستئناف وجملة أتهتدي في محل نصب على المفعولية لأن الاستفهام علق ننظر عن العمل

وأم حرف عطف معادلة للهمزة وتكون فعل مضارع ناقص معطوف على أتهتدي واسمها مستتر تقديره هي ومن الذين خبر تكون وجملة لا يهتدون صلة الذين . (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) الفاء عاطفة على محذوف اقتضاه الايجاز كما تقدم ، أهكذا : الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر للتشبيه وذا اسم اشارة في محل جر بالكاف والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر ، والأصل اتصال هاء التنبيه باسم الاشارة فكان مقتضاه أن يقال أكهذا عرشك ؟ وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً ؛ فلو قلت أبهذا أمرت أو ألهذا فعلت ؟ لم يجز فيه ذلك الفصل،فلا يجوز أن تقول أها بذا أمرت ، وأها لذا فعلت ؟ وسيأتي السر في الاتيان بكاف التشبيه وعدم الاكتفاء بالقول أهذا عرشك في باب البلاغة . قالت : فعل وفاعل مستتر تقديره هي يعود على بلقيس وكأنه هو وكأن واسمها والضمير هو خبرها وسيأتي السر في عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال في باب البلاغة أيضاً .

(وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) الواو عاطفة على كلام محذوف للايجاز أي لما سمعوا قولها كأنه هو قالوا أصابت في الجواب فقال سليمان : وأوتينا وهو فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب الفاعل والعلم مفعول أوتينا الثاني ومن قبلها متعلقان بأوتينا وكنا الواو عاطفة وكان واسمها ومسلمين خبرها ، ويحتمل أن يكون وأوتينا من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة التي دل عليها سياق الكلام والمعنى وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة والأول أرجح . (وصدّها ما كانت تعبد من

دون الله إنها كانت من قوم كافرين) من جملة كلام سليمان أو من كلام الله ، وصدها فعـل ماض ومفعول به وما موصول فاعل وجملة كانت صلة واسم كانت مستتر تقديره هي وجملة تعبـد خبر ومن دون الله حال ويجوز أن تكون ما مصـدرية أي وصدّها عبـادة الشمس عن الاسلام وجملة إنها تعليـل للصـد عن الاسلام وعبادة غير الله ، وان واسمها وجملة كانت خبرها واسم كانت هي ومن قوم خبرها وكافرين صفة وقرىء أنها بالفتح عـلى انه بدل من فاعل صدها أو نصب بنزع الخافض • (قيل لها ادخلي الصرح) قيل فعـل ماض مبني للمجهول والجملة مستأنفة وجملة ادخلي الصرح مقول القول والصرح مفعول به على السعة وستأتي قصة الصرح في باب الفوائد • (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) الفاء عاطفة على محذوف للايجاز أي فدخلته ، لما حينية أو رابطة وجملة حسبته لامحل لها والهاء مفعول به أول ولجة مفعول به ثان وكشفت عن ساقيها عطف على حسبته • (قال إنه صرح ممرد من قوارير) إن واسمها وصرح خبرها وممرد صفة ومن قوارير صفـة ثانية أي إن الذي ظننته مـاء فوقه هو صرح ممرد أي مسقف بسطح فمن أراد مجاوزته لم يحتج الى تشمير ثيابه • (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) رب منادى مضاف محـذوف منه حرف النداء وان واسمهـا وجملة ظلمت نفسي خبرها وأسلمت عطف على ظلمت ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال أي كائنة مع سليمان وإنمـا قدر حالاً لأن تعليقه بأسلمت يوهم اتحـاد اسلاميهما في الزمان ، ولله متعلقان بأسلمت ورب العالمين بدل من الله أو صفة له •

البلاغـة :

١ ـ الكناية في ارتداد الطرف :

في قولـه : « قبـل أن يرتد اليك طرفك » كناية عن الاسراع . والطرف هو تحريك أجفانك إذا نظرت ، فوضع موضع النظر ، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطـرف وصف برد الطـرف ، ووصف الطرف بالارتداد وعليه قوله :

وكنـت إذا أرسلـت طرفك رائــدا
لقبلـك يومـــاً أتعبتـك المنــاظر

رأيت الـــذي لاكـــله أنت قـــادر
عليـــه ولا عن بعضـــه أنت صـــابر

وهذان البيتان لأعرابية نظرها أعرابي فخاطبها بشعر يسألها عن أحوالهـا ومحاسنها كأنـه يراودها عن نفسها فأجابته بذلك وقيـل هو لشاعر حماسي ، وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام الركب يتعرف لهـم مكان الخصب عـلى طريق الاستعارة التصريحية ورائداً ترشيح للاستعارة ويوماً ظرف له .

٢ ـ السر في التشبيه :

وفي قوله«كأنه هو» تشبيه مرسل عدلت إليه عن مقتضى السؤال ، ومقتضاه أن تقول:هو هو لسر دقيق جداً وذلك ان«كأنه»عبارةمن قرب الشبه عنده حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول هو هو ،

وتلك حال بلقيس ولما كانت هكذا هو عبارة جازم بتغاير الامرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها .

٣ ــ التجنيس :

وهو تآلف الكلمتين في تأليف حروفهما وهو هنا في قوله « وأسلمت مع سليمان » .

الفوائد :

١ ــ قصة الصرح :

هذا وتلخص ما يروى من قصة الصرح لانها قصة شعرية مجنحة الخيال فقد روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه ، فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد إغراقها وتعجبت من كون كرسيه على الماء ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فكشفت عن ساقيها والمقصود من ذلك كله اختبار عقلها وارهاصها بالمعاجز لا ما يروى انه قيل له انها شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار مما لا يتلاءم ووقار النبوة وترفعها عن الصغائر .

٢ ــ هل تزوج سليمان بلقيس ؟ :

قيل تزوجها بعد ذلك وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له ، وقيل بل زوجها ذاتبع من ملوك اليمن ويقال لهم الأذواء لأن أعلامهم تصدر بكلمة (ذو) والمراد صاحب هذا الاسم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

اللغـــة :

(اطيرنا) : وتطـيرنا : تشاءمنا والطائر هنـا : ما تيمنت به أو تشاءمت والمقصود هنا الثاني ، كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن وإن مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير أو الشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد ، وقد مر هذا في سورة الاعراف فجدد به عهداً .

(المدينة) : البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن إذا قام فيه فهي فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهي مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له خضعت له وأطعت ويقال للأمة مدينة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

ثوت وثوى في كرمهـا ابن مـدينة
يظـل عـلى مسحاته يتوكـل

وفي معاجم اللغة : مدن بالمكان يمدُن من باب نصر مُدوناً أقام وهو فعل ممات ومدن المـدينة أتاها ومدّن المـدائن بالتشديد بناها ومصّرها ، وتمدّن تخلق بأخلاق أهل المدن وانتقـل من الهمجية الى حالة الانس والظرف ، وتجمع المدينة على مُدْن بسكون الدال ومدن بضمها ومدائن ، والمدينة علم أطلق عـلى يثرب ومدينة السلام بغـداد والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيهـا ايوان كسرى وسميت بالجمع لكبرها والنسبة اليها مدائني •

(رهط) : الرهط قوم الرجل وقبيلته وعدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهـم امرأة ، ولا واحـد له من لفظه وجمعه أرْهُط وأرهاط وجمع الجمع أراهط وأراهيط ، وإذا أضيف الى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس نحو عشرون رهطاً ، أي شخصاً ، ويقال نحن ذوو رهط أي مجتمعون وفي المصباح « الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهـم امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها وهو جمـع لا واحد له من لفظه وقيل الرهط من سبعة الى عشرة وما دون السبعة الى الثلاثة نفر وقال أبو زيد : الرهط والنفر ما دون العشرة من الرجال

وقال ثعلب أيضاً : الرهط النفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء وقال ابن السكيت : الرهط والعترة بمعنى ويقال : الرهط ما فوق العشرة الى الاربعين قاله الأصمعي ونقله ابن فارس أيضاً ورهط الرجل قومه وقبيلته الأقربون » وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الاعراب .

الاعراب :

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله) كلام مستأنف مسوق لتقرير القصة الثالثة أو الرابعة إذا استقلت قصة النمل عن قصة سليمان وبلقيس ، وهي قصة صالح . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل ماض وفاعل والى ثمود متعلقان بأرسلنا وأخاهم مفعول به وصالحاً بدل من أخاهم أو عطف بيان وأن مصدرية وهي ومدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ويصح كونها مفسرة لأن الارسال يتضمن معنى القول واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به . (فإذا هم فريقان يختصمون) الفاء عاطفة واذا فجائية تقدم القول فيها وهم مبتدأ وفريقان خبر وجملة يختصمون نعت لفريقان على المعنى نحو قوله تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » لأن كل فريق يضم جماعة . (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفه لدخول الجار ، والجار والمجرور متعلقان بتستعجلون وبالسيئة متعلقان بتستعجلون وقبل الحسنة ظرف متعلق بمحذوف حال والمراد بالسيئة العذاب وبالحسنة الرحمة كما سيأتي . (لولا تستغفرون الله لعلكم

ترحمون) لولا حرف تحضيض بمعنى هلا وتستغفرون الله فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعوله ولعلكم ترحمون لعل واسمها والجملة خبرها • (قالوا اطّيّرنا بك وبمن معك) اطيرنا فعل ماض وفاعل وأصله تطيرنا ادغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل للتوصل الى النطق بالساكن لأن المدغم ساكن دائماً ، وبك متعلقان باطيرنا وبمن عطف على بك ومعك ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة من والجملة مقول قولهم •

(قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) طائركم مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف هو الخبر والجملة مقول قوله وبل حرف اضراب فقد أضرب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وأنتم مبتدأ وقوم خبر وجملة تفتنون نعت لقوم. (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) الواو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وفي المدينة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وتسعة اسمها المتأخر ورهط مضاف اليه وسيأتي بحث تمييز العدد مفصلاً في باب الفوائد وجملة يفسدون صفة لتسعة ولا يصلحون عطف على يفسدون، وسيأتي سر قوله ولا يصلحون في باب البلاغة • (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) تقاسموا فعل أمر أي احلفوا ، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً كأنه قيل: ما قالوا ؟ فقيل : تقاسموا ، ويجوز أن يكون مع فاعله جملة في محل نصب على الحال أي قالوا متقاسمين باضمار قد والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف ، لنبيتنه : اللام واقعة في جواب القسم ونبيتنه من البيات ، وقد تقدم معناه في مكان آخر ، فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر

تقديره نحن والهاء مفعول به أي لنباغتنه ليلاً ؛ وأهله الواو عاطفة وأهله معطوف على الهاء ويجوز أن يعرب مفعولاً معه فتكون الواو للمعية • (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) ثم حرف عطف للتراخي واللام موطئة للقسم ونقولن تقدم اعراب مثيلتها ولوليه متعلقان بنقولن أي الذين لهم ولاية دمه ؛ ومهلك مفعول به وهو إما مصدر ميمي أو اسم زمان أو اسم مكان وقرىء بضم الميم وفتح اللام على أنه من الرباعي وأهله مضاف اليه وإنا الواو عاطفة أو حالية وإنا ان واسمها واللام المزحلقة وصادقون خبر إن •

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون) الواو عاطفة ومكروا فعل وفاعل ومكراً مفعول مطلق ومكرنا مكراً عطف على الجملة السابقة والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر • (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنّا دمرناهم وقومهم أجمعين) الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مكرهم المبيت وتآمرهم الدنيء فإن البيات مما يستنكره ، ويروى عن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر أي من عادته وطرائقه• وكيف خبر كان المقدم وعاقبة اسم كان المؤخر والجملة في محل نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بانظر المعلقة عن العمل بالاستفهام وإنا جملة مستأنفة ولذلك كسرت همزة إنا وقرىء بفتحها على أن المصدر بدل من العاقبة أو خبر لمبتدأ محذوف وان واسمها وجملة دمرناهم خبرها وأجمعين تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه أي صالح وأهله المؤمنين به وكانوا كما يروى أربعة آلاف •

(فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) الفاء عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها مقررة لها وتلك مبتدأ وبيوتهم خبر

وخاوية حال من بيوتهم والعامل فيها معنى الاشارة وبما ظلموا متعلقان بخاوية وما مصدرية والباء للسببية أي بسبب ظلمهم وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسمها ولقوم صفة لآية وجملة يعلمون صفة لقوم • (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) فعل وفاعل ومفعول به وجملة آمنوا صلة وكانوا يتقون عطف على آمنوا فهو في حيز الصلة وكان واسمها وخبرها •

البلاغـة :

١ ـ التمام أو التتميم :

في قولـه « ولا يصلحون » فن التمام كما سماه قدامة في نقد الشعر وابن رشيق في العمدة وابن عساكر في الصناعتين ، أو التتميم كما سماه الحاتمي ، وقد تقدم ذكره في البقرة والنحل ، ونعيد تعريفه مختصراً هنا وهو أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه في ذاته أو في صفاته ولفظه تام فإن قوله « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض » شأنهم الإفساد البحت وقد كانوا كما يروى عتاة غلاظاً وهم الذين أشاروا بعقر الناقة لمراغمة صالح وإثارة حفيظته ومنهم قدار بن سالف المشهور بالشؤم وقد تقدم ذكره ، ولكن قوله يفسدون في الأرض لا يدفع أن يندر منهم أو من أحدهم بعض الصلاح فتمم الكلام بقوله « ولا يصلحون » دفعاً لتلك العذرة أن تقع أو أن يخالج بعض الاذهان شك في أنها ستقع وبذلك قطع كل رجاء في اصلاح أمرهم وحسن حالهم •

٢ ــ المشاكلة :

في قوله « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً » فن المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لأن الله تقدس عن أن يستعمل في حقه المكر ، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة وهو كثير في القرآن ومنه « تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك » والله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة النفس ، أما مكرهم فهو ما بيتوه لصالح وما ائتووه من إهلاكه وأعله ، وأما مكر الله فهو إهلاكهم من حيث لا يشعرون على سبيل الاستعارة المنضمة الى المشاكلة ، فقد شبه الاهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء لأن حقيقة المكر هو الايقاع بالآخرين قصداً وعن طريق الغدر والحيلة ، وقد تقدمت قصة اهلاكهم في الشعب .

الفوائد :

١ ــ تمييز العدد :

مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما إن كان اسم جنس وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء كشجر وتمر ، أو اسم جمع وهو ما دل على الجمع وليس له مفرد من لفظه كقوم ورهط جُرّ بمن ، تقول ثلاثة من التمر أكلتها وعشرة من القوم لقيتهم وتسعة من الرهط صحبتهم ، قال تعالى : « فخذ أربعة من الطير » وقد يجر بإضافة العدد إليه فاسم الجمع نحو الآية المتقدمة « وكان في المدينة تسعة رهط » وفي الحديث : « ليس فيما دون خمس ذود صدقة » وقال الشاعر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود   لقد جار الزمان على عيالي

والذود من الابل ما بين الثلاث الى العشرة وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها كما في الصحاح ، والأنفس جمع نفس وهي مؤنثة وإنما أنّث عددها وكان القياس تذكيره لأن النفس كثر استعمالها مقصوداً بها الانسان ، أما اسم الجنس فكقول جندل بن المثنى :

كأن خصييه من التـدلـدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظـل

فحنظل اسم جنس مجرور بالاضافة على حد تسعة رهط ، هذا ويروي بدل التدلدل التهـدل وهو أولى ويروى سحق جراب وخص العجوز لأنها لا تستعمـل الطيب حتى يكون في ظرفهـا ما تتزين به والبيت من أقذع الهجاء .

وان كان مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما جمعاً جر باضافة العدد اليه نحو ثلاثة رجال وثلاث إماء ، ويعتبر التذكير والتأنيث مع اسمي الجمع والجنس بحسب حالهما باعتبار عود الضمير عليهما تذكيراً وتأنيثاً فيعطى العدد عكس ما يستحقه ضميرهما ، فإن كان ضميرهما مذكراً أنث العـدد وإن كان مؤنثاً ذكر ، فتقول في اسـم الجنس ثلاثة من الغنـم عندي بالتاء في ثلاثة لانك تقول غنم كثير بالتذكير للضمير المستتر في كثير ، وروى صاحب المصباح أنه يجوز في غنم تذكير ضميره وتأنيثه ، وثلاث من البط بترك التاء مـن ثلاث لأنك تقول بط كثيرة بالتأنيث للضمير المستتر في كثير ، وثلاثة أو ثلاث من البقر لأن ضمير البقر يجوز فيه التذكير والتأنيث وذلك أن في البقر لغتين التذكير والتأنيث ، قال الله تعالى : « إن البقر تشابه علينا » بتـذكير الضمير وقرىء تشابهت بتأنيثه ، وأما اسم الجمع فحكمه حكم المذكر إن كان لمن يعقل كالقوم

والرهط والنفر وان كان لما لا يعقل فحكمه حكم المؤنث كالجامل والباقر . هذا ما ذكره النحاة ولكن فيه نظراً لأن نسوة اسم جمع وحكمه حكم المؤنث باتفاق فيقال ثلاث نسوة ، والتذكير والتأنيث مع الجمع يعتبران بحال مفرده فان كان مفرده مذكراً أنث عدده وإن كان مؤنثاً ذكر عدده فلذلك تقول ثلاثة اصطبلات جمع اصطبل بقطع الهمزة المكسورة وثلاثة حمامات لأن الاصطبل والحمام مذكران ، وتقول ثلاث سحابات بترك التاء اعتباراً بالسحابة فهي مؤنثة ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه حتى يقال ثلاث طلحات بترك التاء ، ولا يعتبر حال معناه حتى يقال ثلاث أشخص بتركها أيضاً يريد نسوة لأن الشخص يقع على المذكر والمؤنث ، بل ينظر الى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره فيعكس حكمه في العدد فأما قول عمر بن أبي ربيعة :

فكان مجني دون من كنت أتقي

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فضرورة وكان القياس فيه ثلاثة شخوص بالتاء ولكنه كنى بالشخوص عن النساء والذي سهل ذلك قوله : « كاعبان ومعصر » فاتصل اللفظ بما يعضد المعنى المراد وهو التأنيث ، والكاعب الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والمعصر بضم الميم وكسر الصاد الجارية أول ما أدركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب كما قال الخليل . هذا وقد جمح بنا عنان القول فحسبنا ما تقدم أوردناه لاهميته وفائدته ولا بد من الرجوع الى المطولات لمن أراد المزيد .

٢ ــ اعلم أنهم قد كسروا شيئاً من الأسماء لا على الواحد المستعمل بل تحملوا لفظاً آخر مرادفاً له فكسروه على ما لم يستعمل فمن ذلك رهط وأراهط قال الشاعر :

يــا بؤســس للحــرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

وليس القياس في رهط أن يجمع على أراهط لأن هذا البناء من جموع الرباعي وما كان على عدته نحو جعفر وجعافر وجدول وجداول وأرنب وأرانب • وليس أرهط بجمع رهط اذ لو كان كذلك لم يكن شاذاً ويدل على ذلك أن الشاعر قد جاء به لما احتاج اليه قال :

وفاضــح مفتضــح في أرهُطِــه من أرفع الوادي ولا من بُعْثُطه

والبُعْثط والبعثوط : سُرّة الوادي وخير موضع فيه •

هذا وقد اختلف النحويون في أراهط ، فزعم قوم منهم أنه جمع أرهط الذي هو جمع رهط وهو النفر من ثلاثة الى عشرة ، وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رهط على خلاف القياس.والبيت مطلع قصيدة لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد الشاعر وبعده :

والحــرب لا يبقــى لجــا حمهــا التخيــل والمــراح

إلا الفتى الصبــار في النّــ ــجدات والفرس الــوقاح

والنثــرة الحصــداء والــ ــبيض المكلــّل والرمــاح

وتساقط الأوشــاظ والــذّ ــنبات إذ جهــد الفضــاح

والكر بعد الفر إذ كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

لفظ الآيين في شعر أبي نواس :

وردت في باب الاعراب كلمة الاسكندر وفيها يقول : ليس من آيين الملوك استراق الظفر ، ونحب أن نورد أبياتاً لأبي نواس استعمل فيها كلمة الآيين فجاءت خفيفة ظريفة رغم غرابتها ، قال أبو نواس يصف ما جرى له في دير نهراذان :

بدير نهراذان لي مجلس وملعب وسط بساتينه
رحت إليه ومعي قينة نزوره يوم سعانينه
بكلّ طلاب الهوى فاتك قد آثر الدنيا على دينه
حتى توافينا الى مجلس تضحك ألوان رياحينه
والنرجس الغض لدى ورده والورد قد خفّ بنسرينه
وجيء بالدن على مرفع وخاتم العلج على طينه
وطاف بالكأس لنا شادن يدميه مس الكف من لينه
يكاد من اشراق خديه أن يختطف الابصار من دونه
فلم يزل يسقي ونلهو به ونأخذ القصف بآيينه

حتى غدا السكران من سكره كالميت في بعض أحايينه

فقوله نأخذ القصف بآيينه أي برسومه وقوانينه وشروطه •

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨)

الاعراب :

(ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لذكر القصة الخامسة والأخيرة من قصص السورة، ولوطاً مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر أو أرسلنا، فإن جعلته اذكر كانت إذ ظرفاً لما مضى من الزمان متعلقاً باذكر ، وان جعلته أرسلنا كانت إذ بدل اشتمال من لوطاً وجملة قال مجرورة بإضافة الظرف اليها ، ولقومه جار ومجرور متعلقان بقال ، والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتأتون فعل مضارع والواو فاعل والفاحشة مفعول به والجملة مقول القول ، وأنتم الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة تبصرون خبر أنتم والمراد بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة ومع ذلك

تفعلونها • (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وكرر التوبيخ زيادة في التقبيح واستسماج هذه الفعلة الشنعاء المخالفة لنواميس الطبيعة ، وسيرد في باب الفوائد بحث عن هذه الميول الجنسية الشاذة التي لا يبلغ كنه قبحها ، وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تأتون الرجال خبرها وشهوة مفعول لأجله أو حال من الفاعل أو المفعول ومن دون النساء متعلقان بمحذوف حال من الفاعل • (بل أنتم قوم تجهلون) بل حرف اضراب وأنتم مبتدأ وقوم خبر وتجهلون صفة لقوم • (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجواب قومه خبر كان المقدم وإلا أداة حصر وأن قالوا مصدر مؤول في موضع الرفع اسم كان المؤخر وجملة أخرجوا مقول القول وهو فعل أمر وفاعل وآل لوط مفعول به ومن قريتكم متعلقان بأخرجوا وإنهم تعليل لإخراجهم وان واسمها وأناس خبرها وجملة يتطهرون صفة أي يتنزهون عن هذا العمل القذر • (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) الفاء عاطفة على مقدر محذوف يفهم من السياق أي فخرج لوط بأهله من أرضهم بعد أن أحس بمكرهم وكيدهم وتربصهم الدوائر • وأنجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه وإلا أداة استثناء وامرأته مستثنى وجملة قدرناها حال وقدرناها فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن الغابرين متعلقان بقدرناها أي الباقين في العذاب • (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) الواو عاطفة وأمطرنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأمطرنا ومطراً مفعول به ، فساء الفاء عاطفة وساء فعل ماض للذم ومطر المنذرين فاعل •

الفوائـد :

النرجسية والشذوذ الجنسي :

يرجـع الفلاسفة المحدثون ظواهر الشذوذ في غرائز الجنس الى النرجسية ، ولهذا كان لابد من أن نشرح هـذه النرجسية كما يفهمها المحللون النفسيون :

كان اليونانيون الأقدمون يطلقون اسم نرجس على فتى من فتيان الأساطير بارع الحسن ساحر الشمائل يفتن من يراه ويشقي بجمالـه وتيهـه قلوب العـذارى الخفرات ، فـلا يلتفت إليهن ولا يستجيب لضراعتهن ، ولم يزل كـذلك حتى ضجت السماء بدعـاء عاشقاته وصلواتهن الى الأرباب أن يصرفوهن عنه أو يصرفوه عنهن واستجابت « نمسي » ربة القصاص والجزاء الى هذا الدعاء فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه ويلقى منهـا الشقاء الذي تلقـاه منه عاشقاته ، قال رواة الأساطـير : فما هو إلا أن ذهب يشـرب من ينبوع صاف حتى لمح بصورته في مائه فوقف عندها يعجب من جمالها وأذهلته الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقاً الى الماء ليتملّى تلك الصورة ويرتوي من النظر إليها فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقاً ولا تزيده اللهفة إلا هزالاً وذبولاً حتى فني ، وذهبت عرائس الماء تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غـير نرجسة مطرقة ترنو الى الماء ولا ترفع بصـرها الى السماء ، فالنرجس أبداً مطرق مفتوح العـين لا يشبع من النظر الى خياله عـلى حوافي الجداول والغدران . وهناك روايات أخرى حول هذه الأسطورة تمثل الصدى والحذر والسبات لا تخرج عن هذا الفحوى وتلحق بما تنطوي

عليه آفة النرجسية من الغرائزأو من الميول والأحاسيس ولهذاوقع عليها اختيار المحللين النفسيين فلم يجدوا اصطلاحاً أوفق منها لأعراض تلك الظاهرة النفسية مع عراقة الاصطلاح في اللغة اليونانية التي يختارونها لابتداع الأسماء الجديدة في العلوم ، وأول من أدخل هذا المصطلح في الطب النفسي الدكتور هافلوك اليس رائد المباحث الجنسية المشهور، ثم توسّع الأطباء النفسيون في دراسة هـذه الآفة وتتبعوا أعراضها ولوازمها واستقصوا ما هو من لوازمها الأولية وما هو من لوازمها الثانوية أو التبعية ، وتعنينا هنا من شعابها التي تتصل بدراسة المنحرفين شعبتان :

١ ــ تسمى إحداهما الاشتهاء الذاتي .

٢ ــ تسمى ثانيتهما التوثين الذاتي .

فالاشتهاء الذاتي يغلب على الحالات الجسدية التي تقترن باختلال وظائف الجنس في صاحبها ويبلغ من اختلال هذه الوظائف أن المصاب به يمني إذا أطال النظر الى بدنه عارياً في المرآة وما إليها وأنه يشتهي بدنه كأنه بدن إنسان غريب عنه ولكنها شهوة يبالغ فيها المريض .

والتوثين الذاتي يغلب على الحالات العاطفية والفكرية ، فيتخذ المصاب به من تفسه وثناً يعبده ويعزه ويدلله ، فلازمة التلبيس والتشخيص لاغنى في الشذوذ الجنسي ، وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوية ، فالشاذ في حب جنسه أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ويقضي مأربه ، أما الذي يشتهي بدنه فليس في وسعه أن يقضي

مأربه منه بغير الاحتيال لذلك بالتلبيس والتشخيص ، فهو يلبس شخصيته شخصاً آخر يتوهم أنه هو ذاته أو يحل محلّ ذاته وكما يفعل جالد عميرة حين يضع أمامه صورة •

هذا ومن المفيد أن يرجع الذي يتوق الى معرفة تطور النظريات في مسائل الجنس الى الكتب المؤلفة في هذا الصدد فهي تلقي أضواء على المشكلة ولكنها لا تحلها ، لأنها كلها لم تنته الى تهوين الفوارق بين الجنسين ولا إلى زعم الزاعمين أن الانسان مزدوج الجنسين مختلط الذكورة والأنوثة بطبيعته ، وأن الشذوذ الجنسي فيه فطرة عامة تتخذ أطوارها على حسب العمر من الطفولة الى تمام النمو في الجنسين كما يقول فرويد ومتبعوه •

وقد صور أبو نواس وهو قطب من أقطاب النرجسيين هذه الأطوار خير تمثيل وهو يغشى معاهد الدرس على هذا المثال في عرفه بقوله :

إذا ما وطىء الأمر ... د للعلم حصى المسجد
فقل حلّ لنا عقداً ... من الفقه واستفسد
فإن كان عروضياً ... فقولوا سجد الهدهد
وإن أعجبه النحو ... فهذا ذاك له أجود
وإن مال الى الفقه ... فللفقه له أفسد
وان كان كلامياً ... فحرّك طرف المقود
وميله الى الخير ... فقيه قرب ما يبعد

وخــــذه كيفمـــا شئت ـ اقتضاباً أو عــلى موعــد
وقــل : هـــذا قضاء اللــــــه هــل يدفع أو يجحـد

واتتهى مصرحاً :

فيا من وطيء المسجــــد من ذي بهجـــة أغيــد
أنا قست عــــلى نفسي فهـــذا الأمر لا أجحـد

وننتهي من هذا البحث وقد كان أمراً لا بد منه وإن لم يكن هذا موضعه .

تصحيح رواية بيت في الكشاف لأبي نواس :

ذكر الزمخشري في كشافه بصدد الحديث عن قوم لوط قال : « ... كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنـين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعــة ومجانة وانهماكاً في المعصية وكأن أبا نواس بنى عــلى مذهبهم قوله :

وبح باسم ما تأتي وذرني من الكـــنى
فلا خـير في اللــــذات من دونهـا ستر

وصواب الرواية « وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى » البيت وهو من قصيدة رائعة أولها :

ألا فاسقني خمراً وقــل لي هي الخمر
ولا تسقني ســـــراً إذا أمكن الجهر

وبعد البيت :

فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة
فإن طال هذا عنده قصر العمر

وبعده :

وما الغرم إلا أن تراني صاحياً
وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر

ولا نمر بك دون أن نقف عند البيت الأول فقد قال « وقل لي هي الخمر » وقد يبدو هذا حشواً للوهلة الأولى ولكن القارىء إذا ذكر أن للانسان خمس حواس علم أن أبا نواس قصد أن يشرك حاسة السمع التي تظل محرومة من لذة الخمر حال شربها فطالب ندمانه أن يخاطبه باسمها ليشرك حاسة سمعه وهذا من أعاجيب فطنته .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)

اللغة :

(حدائق) : جمع حديقة أي بستان من أحدق بالشيء أحاط به ، ولما كان البستان محوطاً بالحيطان سمي حديقة وإلا فلا يسمى بها ، وفي المصباح : « والحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لأن الحائط أحدق بها أي أحاط ، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط والجمع الحدائق » وفي الصحاح : « الحديقة : كل بستان عليه حائط » ومن أقوالهم : « ورد عليّ كتابك فتنزهت في آنق رياضه ، وبهجة حدائقه » .

الاعراب :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) كلام مستأنف مسوق لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بحمده تعالىٰ وبالسلام على

المصطفين الأخيار من خلقه وكأن هذا الحمد براعة استهلال لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية والعلم والقدرة التي سيرد ذكرها وذلك بعد أن فرغ من قصص هذه السور الخمس • وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت أي يا محمد ليكون نموذجاً يتأسى به كل كاتب وخطيب ويحتذى على مثاله في كل علم مفاد ، والحمد مبتدأ ولله خبره وسلام مبتدأ سوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء وعلى عباده خبر والـذين صفة لعباده وجمـلة اصطفى صلة والعائد محذوف أي اصطفاهم وهم المؤمنون المتأهلون للـدنيا والآخرة • (آلله خـير أم ما يشركون) الهمزة للاستفهام والله مبتدأ وخير خبر وأم عاطفة وما اسم موصول واقع على آلهتهم وجملة يشركون صلة • (أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) أم منقطعة لفقدان شرطها وهو تقدم همزة الاستفهام وهي بمعنى بل والإضراب بمعنى التبكيت والتوبيـخ ومن مبتـدأ وجمـلة خلق السموات والأرض صلة وخبر من محذوف تقديره خير أم ما يشركون فيقدر ما أثبت في الاستفهـام الأول تعويلاً عليه وهـذا ما اختاره الزمخشري وهو جميل متناسب مع الكلام ، وقال أبو الفضل الرازي : « لا بد من إضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة : أمن خلق السموات والأرض كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر فيها كقوله تعالى : أفمن يخلق كمن لا يخلق » و لانرى خلافـاً بينـاً بين الوجهين • وأنزل عطف على خلق ولكم حال ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به والفاء عاطفة وأنبتنا عطف على ما تقدم على طريق الالتفات، وسيأتي في باب البلاغة ، وبه متعلقان بأنبتنا وحدائق مفعول به وذات بهجة صفة لحدائق وسوغ إفراده أن المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل •

(ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) الجملة نعت ثان لحدائق أو حال منها لتخصصها بالصفة ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولكم خبر كان المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وتنبتوا فعل مضارع منصوب بأن والواو فاعل وشجرها مفعول • (أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى النفي وإله مبتدأ وساغ الابتداء به لإفادته بسبب الاستفهام ومع الله ظرف متعلق بمحذوف خبر وبل حرف اضراب معناه التبكيت ، وقد تكرر هذا التعبير خمس مرات كما سترى ، وهم مبتدأ وقوم خبر وجملة يعدلون صفة • (أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً) تقدم إعراب هذا التركيب فقس عليه ، وقراراً مفعول جعل الثاني ، وجعل خلالها أنهاراً عطف على الجملة الأولى ، وخلالها يجوز أن يكون ظرفاً لجعل بمعنى خلق المتعدية لواحد وأن يكون في محل المفعول الثاني على أنها بمعنى صيّر وعلى الوجه الأول يكون قراراً حالاً • (وجعل لها رواسي) جملة معطوفة • (وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الجملة معطوفة على ما تقدم وقد تقدم إعرابها • (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) تقدم إعرابها وجملة دعاه في محل جر بإضافة الظرف اليها والمضطر اسم مفعول ، وطاؤه أصلها تاء الافتعال • (ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون) تقدم إعرابها ، وقليلاً نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف وما زائدة لتقليل القليل وتذكرون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والواو فاعل • (أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر) تقدم إعرابها • (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) تقدم اعرابها أيضاً • (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض) تقدم اعرابها أيضاً • (أإله مع الله

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) إن شرطية وجوابها محذوف تقديره فهاتوا برهانكم ، وقد قدمنا أن قوله أإله ذكر خمس مرات وختم الأول بقوله « بل هم يعدلون » وختم الثاني بقوله « بل أكثرهم لا يعلمون » والثالث بقوله : « قليلاً ما يذكرون » والرابع بقوله : « تعالى الله عما يشركون » والخامس بقوله « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

البلاغة :

الالتفات في قوله : « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » بعد قوله « أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء » فقد انتقل في نقل الإخبار من الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا ، والسر فيه تأكيد اختصاص فعل الإنبات بذاته تعالى وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف وما يبدو فيها من تزاويق الألوان وتحاسين الصور ، ومتباين الطعوم ، ومختلف الروائح المتفاوتة في طيب العرف والأريج كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق وهو الله وحده ، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك «ما كان لكم أن تنبتوا شجرها» وقد أدرك أبو نواس هذه الحقيقة فقال :

تأمل في رياض الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات   بأنظار هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

هل تاب أبو نواس ؟ :

هـذا ولعلك تعجب من هـذه الأبيات تنضح بالإيمان العميق وتصدر عن رجل كأبي نواس لم يظلمـه الذين اتهموه ولم تعوزهـم الأدلة على اتهامه بالفساد ولكنهـم ظلموا الفلسفة فظنوها مدرجـة المطلعين عليها الى الزندقة ومذاهبها ، ولا زندقة هنا عنـد أبي نواس ولا مذهب غير المجون وحب الظهور ، ولقد كان ابراهيم النظام من أعلم أهل زمانه بما يسمونه علوم الأوائل وكان أبو نواس يحضر عليه فينهاه عن التبذل ويذكره بالوعيد ويقول له : إن من ترقب وعد الله فعليه أن يحذر وعيده ، فلا يرعوي عن لغوه ومجونه حتى يئس منه فطرده من مجلسه ، فنظـم فيه قصيدته التي اشتهـرت بالابراهيمية ومطلعها مشهور متداول :

دع عنك لومي فإن اللـوم إغراء
وداوني بالـتي كانت هي الـداء

وفيها يسخر من النظام :

فقـل لمن يدعي في العلـم فلسفة
حفظت شيئاً وغـابت عنك أشيـاء

لا تخطـر العفو إن كنت امرأً حرجـا
فـإن خطـرك بالـدين إزراء

فأبو نواس لم يكن سوى ماجن مستهتر وقد كان المجون في

عرف بيئته هو الظرف ، نصح له الأمير أبو العباس محمد أن يتوب عن المجون ، فقال له : أما المجون فما كل أحد يقدر أن يمجن وإنما المجون ظرف ولست أبعد فيه عن حد الأدب أو أتجاوز مقداره ، أما المعاصي فإني أثق فيها بعفو الله عز وجل وقوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » وقد تلقف أبو نواس أضاليل المرجئة وقولهم : « لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلاً ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً » فنادى بذلك ويظهر أنه استهواه :

ترى عندنا ما يسخط الله كله
من العمل المردي الفتى ما خلا الشركا

ثم عدل نظريته بعض الشيء فاكتفى بالقول إن الكبائر لا تسلك صاحبها مع الكفار ولا تحرمه الرجاء بعفو الله وقوله مشهور في ذلك :

تكثر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ رباً غفورا
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ومن ذلك قوله :

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

على أنه تاب في أخريات عمره ، وقد نستشف من أشعاره التي نظمها في تلك السن المشارفة على النهاية صدق توبته ، فقال معترفاً بتأخيرها بعد فوات حينها :

دب فيّ الفناء سفلاً وعلوا وأراني أموت عضواً فعضوا

ذهبت شرّتي وجدة نفسي وتذكرت طاعة الله نضوا

ليس من ساعة مضت بي إلا نقصتني بمرها لي جزوا

لهف نفسي على ليال وأيا م سلكتهن لعباً ولهوا

قد أسأنا كل الإساءة يا رب فصفحاً عنا إلهي وعفوا

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) ﴾

الاعراب :

(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون) شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين والنحاة وخاضوا فيها كثيراً وسنختار هنا أسهل أقوالهم على أن نورد في باب الفوائد جميع ما قيل حولها لما في ذلك من رياضة ممتعة للذهن . والجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم وقد سألوه عن وقت قيام الساعة ، ف «لا»

نافية ويعلم فعل مضارع ومن اسم موصول فاعل يعلم وفي السموات والأرض صلة من ، أي لا يعلم الذي ثبت واستقر وسكن في السموات والارض والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء بمعنى لكن اشارة الى أن الاستثناء منقطع والله مبتدأ خبره محذوف تقديره يعلم ويصح أن تكون من في محل نصب مفعول به والغيب بدل اشتمال منها والله فاعل يعلم والمعنى قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السموات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى والواو عاطفة وما نافية ويشعرون فعل مضارع وفاعل وأيان اسم استفهام بمعنى متى وهي منصوبة بيبعثون ومعلقة ليشعرون عن العمل فالجملة المؤلفة منها ومما بعدها في محل نصب بنزع الخافض أي ما يشعرون بذلك • (بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون) بل حرف اضراب انتقالي وقال الجلال هي بمعنى هل وهو غريب بالرغم من أن شراح الجلال قالوا ان طريقة الجلال أسهل من الطرق التي سلكها غيره ، وادارك فعل ماض أي لحق وتتابع ، وأورد الزمخشري اثنتي عشرة قراءة لها ، وعلمهم فاعل وفي الآخرة متعلقان بادارك أو بعلمهم وادارك وإن كان ماضياً لفظاً فهو مستقبل معنى لأنه كان حتماً كقوله « أتى أمر الله » ، بل حرف اضراب انتقالي أيضاً وهم مبتدأ وفي شك خبر ومنها صفة لشك وبل حرف اضراب انتقالي أيضاً وهم مبتدأ ومنها متعلقان بعمون وعمون خبر هم ، والعمى هنا عمى القلب ، والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها •

(وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون) الواو للعطف وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة الذين والهمزة للاستفهام الانكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة

كنا في محل جر بإضافة الظرف اليها وكان واسمها وتراباً خبرها وآباؤنا عطف على اسم كان وسوغ العطف عليه الفصل بالخبر والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً وإن واسمها واللام المزحلقة ومخرجون خبر إن والجملة تأكيد للجملة الأولى • (لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) الجملة تأكيد ثان للجملة السابقة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ووعدنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل وهذا مفعول به ثان لوعدنا ونحن تأكيد لنا وآباؤنا عطف على الضمير البارز في وعدنا وسوغ العطف تأكيده بالضمير المنفصل والفصل بالمفعول الثاني ومن قبل متعلقان بوُعدنا والظرف مبني على الضم لانقطاعه على الإضافة لفظاً لا معنى أي من قبل مجيء محمد من الرسل السابقين ، وهنا لا بد من تقدير حذف اقتضاه الإيجاز فلو كان الموعود به حقاً لحصل وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وأساطير خبر هذا والأولين مضاف إليه •

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) سيروا فعل أمر معناه التهديد لهم على التكذيب والتحذير من أن ينزل بهم ما حاق بالمكذبين من قبلهم وفي الأرض متعلقان بسيروا ، فانظروا عطف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة المجرمين اسم كان المؤخر • (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) الواو عاطفة على قل و لاناهية وتحزن فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت وعليهم متعلقان بتحزن ولا تكن عطف على لا تحزن واسم تكن مستتر تقديره أنت وفي ضيق خبر ومما صفة لضيق وجملة يمكرون صلة •

الفوائــد :

منشأ الاضطراب في هذه الآية أنهم ـ أي النحاة ـ أعربوا لفظ الجلالة بدلاً من « من » وفي ذلك إبدال المستثنى المنقطع وهي لغة مرجوحة لتميم ، ولما كانت القراءة مما اتفق عليه السبعة بالرفع حصل ذلك الاشكال ، وفيما ذكرناه أي إعراب لفظ الجلالة مبتدأ مخلص من هذا كله قالوا : « والله مرفوع على البدلية من « من » لأنه تعالى لا يحويه مكان » .

وجوز الصفاقسي أن يكون الاستثناء متصلاً والظرفية في حقه تعالى مجازية وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز في الظرفية وعلى هذا فيرتفع على البدل أو عطف البيان . وقد سبق لنا تقرير الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة وأرجحنا جواز اجتماعهما وعلى ذلك قولهم « القلم أحد اللسانين » وجميع أهل الأصول من أتباع الإمام الشافعي لا يشترطون في المجاز القرنية المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

وفي الجمع بين الحقيقة والمجاز اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو نوع من البديع يسمى التنويع ، وهو ادعاء أن مسمّى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف على طريق التخيل وهو نوع واسع يجري في أبواب كثيرة ، منه أن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عنه منزلته بدون تشبيه ولا استعارة كقولهم « تحية بينهم ضرب وجيع » وقولهم عقابه السيف .

وقال ابن الكمال : فإن قلت : كيف استثني الله وانه تعالى منزه ومتعال عن أن يكون في السموات والأرض ؟ قلت كما استثني « غير أن سيوفهم » من قوله أي النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

يعني إن كان الله تعالى ممن في السموات والأرض كان فيهم من يعلم الغيب ، والغرض المبالغة في نفي العلم بالغيب عنهم وسد الطريق الى ذلك الاحتمال ، فالاستثناء متصل كما في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » فإن شراح الكشاف قاطبة صرحوا بأن الاستثناء فيه متصل .

والعجب أن البيضاوي جوّز اتصال الاستثناء في آية النكاح على الوجه المذكور وجزم هنا بانقطاعه ، والظاهر من كلام الزمخشري أيضاً القطع بالانقطاع حيث قال : « جاز رفع اسم الله تعالى على لغة بني تميم حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمار ، كأن أحداً لم يذكر فإنه على تقدير الكلام على النسق المذكور يصح رفع اسم الله على لغة أهل الحجاز أيضاً .

واعترض بعضهم على الاعراب الثاني أي نصب « من » واعراب الغيب بدلاً من « من » بدل اشتمال فقال إن بدل الاشتمال يحتاج الى ضمير يكون رابطاً ولا ضمير هنا وليس البدل بعد أداة الاستثناء ليقال إن قوة المستثنى بالمستثنى منه تغني عنه ، وعلى هذا فالوجه الأول خال من كل محذور .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

اللغـــة :

(ردف) : في القاموس : « ردفه كسمع ونصر تبعه » ولكنه ضمن هنا معنى دنا أو قرب ولذلك عدي باللام أو أن اللام زائدة كما سيأتي في الاعراب وقد عدي بمن أيضاً قال :

فلما ردفنا من عمـير وصحبه   تولـــوا سـراعاً والمنية تعنق

ردف كتبع يتعدى بنفسه وضمن هنا معنى الدنو فعدي بمن ، وأعنق الفرس سار سيراً سريعاً سهلاً والعنق اسم منه ، يقول الشاعر فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أدبروا مسرعين والحال أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا ، شبه المنية بالأسد على طريق الاستعارة المكنية فأثبت لها العنق تخييلاً كأنهم كانوا تبعوهم برمي النبال •

ويجوز أنه استعار المنية لنفسه وقومه عـلى طريق التصريح أي ونحن نسرع خلفهم فذكر العنق تجريد لأنه يلائم المشبه والعنق ضرب من سير الدواب كما في الصحاح •

وقال ابن الشجري :

معنى ردف لكم تبعكم ومنه ردف المرأة لأنه تبع لها من خلفها ومنه قول أبي ذؤيب .

عـــاد السواد بيـاضاً في مفارقـــه

لا مرحباً ببيـاض الشيب إذ ردفـــا

قال الجوهري : وأردفه لغة في ردفه مثل تبعـه وأتبعـه بمعنى قال خزيمة بن مالك بن نهـد :

إذا الجـوزاء أردفت الثريـا ظننت بآل فاطمـــة الظنونا

الاعراب :

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية والخطاب للنبي ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وكان واسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله .

(قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) عسى ولعل وسوف إذا خوطب بها من هو أكبر منك قدراً فهي بمثابة الجزم بدخولها وإنما يطلقونهـا للوقار وعسى فعـل ماض جامد من أفعال الرجاء واسمها مستتر تقديره هو وان يكون مصدر مؤول خبرها واسم يكون مستتر تقديره هو وردف فعل ماض ضمن فعل يتعدى باللام

وبعض فاعل والذي مضاف اليه وجملة تستعجلون صلة وجملة ردف خبر يكون وقيل إن ردف على بابها بمع تبع واللام زائدة • (وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبرها وعلى الناس متعلقان بفضل أو صفة له والواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب وأكثرهم اسمها وجملة لا يشكرون خبرها • (وان ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة يعلم خبر إن وما مفعول به وجملة تكن صدورهم صلة والعائد محذوف وما يعلنون عطف على ما تكنّ • (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) الواو عاطفة وما نافية ومن حرف جر زائد وغائبة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لدخول النفي عليها ، والغائبة كل ما يخفى ، سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتهما في العافية والعاقبة والنصيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن تكون هذه صفات والتاء فيها للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة• وفي السماء والأرض صفة لغائبة وإلا أداة حصر وفي كتاب خبر غائبة ومبين صفة • (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي فيه يختلفون) الجملة مستأنفة لبيان نوع آخر من ميزات القرآن وان واسمها والقرآن بدل من اسم الاشارة وجملة يقص خبر إن وعلى بني اسرائيل جار ومجرور متعلقان بيقص وأكثر مفعول به والذي مضاف اليه وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون صلة الذي • (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وهدى خبرها ورحمة عطف على هدى وللمؤمنين صفة • (إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو

العزيز العليم) إن واسمها وجملة يقضي خبرها والظرف متعلق بمحذوف حال وبحكمه متعلقان بيقضي وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والعليم خبر ثان .

الفوائد :

أحكام التاء المتحركة اللاحقة بالأسماء والصفات :

هذه التاء إحدى علامات التأنيث المختصة بالأسماء لأنه لما كان التأنيث فرعاً للتذكير احتاج لعلامة تميزه ، على أن العرب قد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة ويستدل على ذلك التقدير بالضمير العائد عليها نحو : « النار وعدها الله الذين كفروا »و« حتى تضع الحرب أوزارها » و « إن جنحوا للسلم فاجنح لها » وبالإشارة اليها نحو: « هذه جهنم » وبثبوتها في تصغير الاسم نحو عيينة وأذينة مصغر عين وأذن من الأعضاء المزدوجة فإن التصغير يرد الأشياء الى أصولها ، فإن القاعدة المشهورة هي : أن ما كان من الأعضاء مزدوجاً فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين والمنخرين والخدين فإنها مذكرة ، على أن المرجع السماع فإن من المزدوج الكف وهي مؤنثة ، وزعم المبرد أنها قد تذكر وأنشد :

ولو كفي اليمين تقيك خوناً   لأفردت اليمين عن الشمال

ولكن هذا وهم من المبرد فإن اليمين بمنزلة اليمنى فهي مؤنثة . وقال ابن يسعون : على انه رجع الى التأنيث فقال تقيك . ونعود الى طرق الاستدلال فنقول ويستدل على التقدير أيضاً بثبوتها في فعله نحو: « ولما فصلت العير » وبسقوطها من عدده كقول حميد الأرقط يصف قوساً عربية :

أرمي عليها وهي فرع أجمع   وهي ثلاث أذرع وأصبع

فأذرع جمع ذراع وهي مؤنثة بدليل سقوط التاء من عددها وهو ثلاث والواو في قوله « وهي » فرع للحال يقال قوس فرع إذا عملت من رأس القضيب ولم يرد بقوله وإصبع حقيقة مقدار الإصبع ولكنه أشار بذلك الى كمال القوس كما تقول : الثوب سبع أذرع وزائد تريد أنها موفاة هذا العدد .

والغالب في هذه التاء أن تكون لفصل صفة المؤنث من صفة المذكر كقائمة وقائم ، ومن غير الغالب في الأسماء غير الصفات نحو رجل ورجلة وغلام وغلامة وفي الصفات التي تنزل على مقصدين وهي الصفات المختصة بالمؤنث كحائض وطامث فإن قصد بها الحدوث في أحد الأزمنة لحقتها التاء فقيل حائضة وطامثة وإن لم يقصد بها ذلك لم تلحقها فيقال حائض وطامث بمعنى ذات أهلية للحيض والطمث .

وقال في المفصّل : « للبصريين في نحو حائض وطامث مذهبان : فعند الخليل انه على النسب كلابن وتامر كأنه قيل ذات حيض وذات طمث ، وعند سيبويه أنه مؤول بانسان أو شيء حائض كقولهم غلام ربعة على تأويل النفس وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة وأما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فتقول حائضة وطالقة الآن أو غداً » وقد أوضحنا الفرق بين الصفة الحادثة والثابتة في الكلام عن قوله تعالى « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » بأن المرضع هي التي من شأنها الإرضاع والمرضعة هي التي فيحالة الإرضاع ملقمة ثديها للصبي فانظره هناك .

وقال في المفصل : « إن مذهب الكوفيين ان حذف التاء في حائض للاستغناء عنها » وهذا يوجب اثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وأيم وثيّب وعانس وهذا الإعتراض بيّن ، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإناث من امرأة مصيبة وكلبة مجرية على ما في الصحاح فليس بسديد لأن ما ذكروه مجوز لاموجب لأنهم يقولون الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء عن الأصل كحاملة في المرأة ، قال الجوهري في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى ، فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للإناث ، ومن قال حاملة بناء على حملت فهي حاملة ، وأنشد لعمرو بن حسان :

تمخضت المنون لـه بيوم ... أتى ولكـل حاملة تمـام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير .

هذا ولا تدخل هذه التاء في خمسة أوزان :

١ ــ فعول بفتح الفاء بمعنى فاعل كرجل جسور وامرأة جسور « وما كانت أمك بغيّا » وقد سبق ذكرها في سورة مريم.

٢ ــ فعيل بمعنى مفعول نحورجل جريح وامرأة جريح ، فإن قلت مررت بقتيلة بني فلان ألحقت التاء خشية الالتباس بالمذكر لأنك لم تذكر الموصوف .

٣ ــ مفعال بكسر الميم نحو منحار يقال رجل منحار وامرأة منحار .

٤ ــ مفعيل بكسر الميم كمعطير من العطر وشذّ امرأة مسكينة وسمع امرأة مسكين على القياس .

٥ ـ مفعل كمغشم وهو الذي لا ينتهي عما يريده ويهواه من شجاعته •

تاء الفصل : وتأتي التاء لفصل واحد من الجنس كتمرة وتمر ، أو فصل الجنس من الواحد نحو كماة وليس منه سيارة في قوله تعالى « وجاءت سيارة » فإنها جمع سيار لا من أسماء الاجناس •

تاء العوض : وتاء العوض وهي التي تأتي عوضاً من فاء كعدة ، أو عين كإقامة ، أو لام كسنة ، أو من حرف زائد لغير معنى كزنديق وزنادقة فالتاء عوض من ياء زناديق •

تاء التعريب : وتـاء التعريب وهي التي تأتي لتعريب الأسمـاء الأعجمية كموازجة جمع موزج بفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاي بعدها جيم وهو الخف أو الجورب والقياس موازج فدخلت التاء في جمعه لتدل على أن أصله أعجمي فعرب •

تاء المبالغـة : وتاء المبالغـة في الوصف كراوية لكثير الرواية ونسّابة لكثير العلم بالانساب •

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

الاعراب :

(فتوكل على الله انك على الحق المبين) الفاء الفصيحة لأنها تفريع على قوله العزيز العليم أي ان عرفت هذه الصفات لله تعالى وآمنت بها فتوكل . وتوكل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل وجملة انك على الحق المبين لا محل لها لأنها تعليل للتوكيل وإن واسمها وخبرها والمبين صفة . (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) تعليل ثان للأمر بالتوكل ، يقطع طمعه عن متابعتهم . وان واسمها وجملة لا تسمع خبر والموتى مفعول به ولا تسمع الصم عطف على سابقتها والصم مفعول به أول والدعاء مفعول به ثان وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ولوا مجرورة باضافة الظرف اليها ومدبرين حال . (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) الواو عاطفة وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وأنت اسمها والباء حرف جر زائد وهادي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والعمي مضاف اليه وعن ضلالتهم متعلقان بهادي وعدي بعن لتضمنه معنى تصرفهم ، وأجاز أبو البقاء وجهاً آخر وهو أن يتعلق بالعمى لأنك تقول عمي عن كذا وهو وجه سائغ مقبول ، ومثل الزمخشري للوجه الأول بقولهم : سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي ، والعيمة شهوة اللبن كما في الصحاح . (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) إن نافية وتسمع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر ومن مفعول به وجملة يؤمن صلة وبآياتنا متعلقان بيؤمن والفاء الفصيحة وهم مبتدأ ومسلمون خبر . (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان بعض أمائر الساعة الدالة عليها والمراد

بالقول ما نطق به القرآن من الآيات التي تنبيء عن الساعة والمراد بوقوعه وهو لم يقع قرب حصوله • وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة وقع القول في محل جر بإضافة الظرف اليها والقول فاعل وقع وعليهم متعلقان بوقع وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ولهم متعلقان بأخرجنا ودابة مفعول به ومن الأرض صفة لدابة وسيأتي ما قيل في دابة الأرض في باب الفوائد •

(تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) جملة تكلمهم صفة ثانية لدابة أو حال منها لأنها وصفت ، وأن بفتح الهمزة على تقدير الباء أي بأن الناس والجار والمجرور متعلقان بتكلمهم وقرىء بكسرها على الاستئناف ، وان واسمها وجملة كانوا خبر ان وكان واسمها وبآياتنا متعلقان بيوقنون ولا نافية وجملة لا يوقنون خبر كانوا والكلام إما من الله تعالى وإما من كلام الدابة ، وقد اختار الزمخشري هذا الوجه ورد على المعترضين بأن قوله بآياتنا يعكر على ذلك بأن قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وانها من خواص خلقه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده •

البلاغة :

في قوله « ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » فن الايغال وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه ، فإذا أريد الاتيان به أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام ، فقد انتهى الكلام عند قوله ولا تسمع الصم الدعاء فما معنى قوله ولوا مدبرين ؟

والجواب أنه أتى بها وقد أغنى عنها ذكر التولي في الظاهر أما في الحقيقة فهو لم يغن عنها لأن التولي قد يكون بجانب دون جانب كما يكون الاعراض ، ولما أخبر سبحانه بذكر توليهم متمماً للمعنى في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الاشارة ، فإن الأصم يفهم من الاشارة ما يفهمه السامع من العبارة ، ثم علم سبحانه أن التولي قد يكون بجانب دون جانب كما قدمنا فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به فيدرك بعض الاشارة والمراد نفي كل الاشارة فجاءت الفاصلة « مدبرين » ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً فاحتجب المخاطَب عن المخاطِب إذ صار من ورائه فخفيت من غيبه الاشارة كما صمّت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة الكلية في عدم الاسماع البتة ، وهذا تمثيل مثلت به حال هؤلاء القوم أتى مدمجاً في الإيغال وهذا الضرب من الايغال يسمى ايغال الاحتياط .

وهناك ضرب آخر وهو ايغال التخيير وقد مضى شاهده في سورة المائدة ، وقد قدمنا في المائدة ما فيه الكفاية من أمثلة الايغال ، ونورد هنا نماذج منه : يحكى أن أخوة ليلى لما علموا بحب توبة بن الحميّر العقيلي لها نذروا دمه وارتحلوا بها ، فقال توبة :

وان يمنعوا ليلى وحسن حديثها
فلن يمنعوا عني البكا والقوافيا

فهلا منعتم إذ منعتم حديثها
خيالاً يوافيني مع الليل هاديا

فقـد تم المعنى بقوله مع الليل ، ولما أتى بالقافية زاد على ذلك .

ولأبي تمام :

إن المنــازل ساورتهـــا فرقــة

أخلـــت من الآرام كـــل كنــاس

من كـــل ضاحكــة الترائب أرهفت

إرهـــاف خوط البانة الميــــاس

فإن المعنى قد تمّ قبل اتيانه بالقافية في البيت الثاني فلما أتى بها زاد عليه ، وعلى هذا النحو الجميل يطرد له ذلك فيقول :

فتوح أمـــير المؤمنـــين تفتحـت

لهــن أزاهـــير الربـا والخمائــل

لقـد ألبس اللـــه الإمام فضائــلاً

وتابـــع فيها باللهـا والفواضـــل

فأضحـت عطايـــاه نوازع شــردا

تسائل في الآفــاق عن كـــل سائل

مواهب جـــدن الأرض حتى كأنمـا

أخـــذن بآداب السحاب الهواطـل

الفوائد :

دابة الأرض :

دابة الأرض هي الجسّاسة وتنوينها وتنكيرها لإبهام تفخيمها ، لتسترعي الانتباه اليها وتلفت الأنظار الى ترقب خروجها وقد كثر الحديث عنها في المطولات وهي من الامور المغيبة التي نؤمن بها ولا يعنينا كنهها ولا حقيقتها .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

اللغة :

(فوجاً) : الفوج : الجماعة والطائفة وجمعه أفواج وفئوج

وجمع الجمع أفاوج وأفايج وأفاويج ، والفائجة : الجماعة ومتسع ما بين كل مرتفعين من رمل أو غلط ، وقال الراغب في مفرداته : « الفوج الجماعة المارة المسرعة وكأن هذا هو الأصل ثم أطلق وإن لم يكن مرور ولا إسراع والجمع أفواج وفئوج » .

(يوزعون) : تقدم قريباً في سورة النحل فجدد به عهداً ، أي يحبس أولهم على آخرهم لأجل تلاحقهم .

(داخرين) : صاغرين ، وفي القاموس : دخر الشخص كمنع وفرح دخراً ودخوراً صغر وذلّ ، وأدخرته بالألف للتعدية . والدال مع الخاء فاء وعيناً تفيدان معناً خاصاً يدل على التضاؤل والتصاغر وما تنبو عنه النفس وتغثى الطباع ؛ فالدَّخ والدُّخ الدخان وهو معروف يعمي العيون ويقذيها وقالت اعرابية لزوجها وكان قد كبر وأسنّ :

لاخير في الشيخ إذا ما اجلخّا   وسال غرب عينيه ولخّا
وكان أكلاً قاعداً وشخّا   تحت رواق البيت يغشى الدّخا
وانثنت الرجل فصارت فخّا   وصار وصل الغانيات أخّا

ومعنى يغشى الدخ انه يكثر التردد على النساء عند التنور يقول اطعمنني ؛ ومعنى اجلخ سقط ولم يتحرك وقيل معناه اعوج ، وأخ بفتح الهمزة كلمة تقال عند التأوه كذا قال ابن دريد ثم قال وأحسبها محدثة وقال الصاغاني : يقال للصبي إذا نهي عن فعل شيء قذر إخ بكسر الهمزة بمنزلة قول العجم كخ كأنه زجر وقد تفتح همزته ، ودخدخ الرجل قارب الخطو مسرعاً وتدخدخ الرجل انقبض ، ودخس

الشيء في الرماد أدخله ودسه ودخس الحافر أصابه داء الدخَس وهو ورم في حافر الدابة والدخس بضم الدال دابة في البحر ، ودخل معروف وهو يفيد التواري والتضاؤل ودخل في عقله بالبناء للمجهول أو جسده ودخِل بكسر الخاء دَخَلاً بفتحتين داخله الفساد فهو مدخول عليه والدخل بفتح الدال وسكون الخاء ما دخل عليك من مالك لتختزنه وتواريه عن العيون والداء والعيب والدخل بفتحتين ما داخل الانسان من فساد في العقل والجسم والخديعة العيب في الحسب والدخيل من دخل في قوم وانتسب اليهم وليس منهم والجمع دخلاء وكل كلمة أعجمية ويقال داء دخيل أي داخل في أعماق البدن ويقال : إنه لخبيث الدِّخلة بكسر الدال المشددة وهي باطن أمره ، ودخمه دخماً دفعه بازعاج ، ودخن الطعام واللحم من باب تعب أصابهما الدخان في حال الطبخ ولا شيء أخبث من طعمه آنذاك ، وكم لهذه اللغة من عجائب .

الاعراب :

(ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وهو كلام مستأنف مسوق لبيان أحوال الكذابين بصورة اجمالية وجملة نحشر مجرورة بإضافة الظرف اليها ومن كل أمة متعلقان بنحشر و « من » هنا للتبعيض وفوجاً مفعول به وممن صفة لفوجاً و « من » هنا للتبيين وجملة يكذب صلة من والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر . (حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون) حرف غاية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة

جاءوا في محل جر بإضافة الظرف اليها ومتعلق جاءوا محذوف أي الى مكان الحساب ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ، أكذبتم : الهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي وكذبتم فعل وفاعل ، وبآياتي متعلقان بكذبتم ولم الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتحيطوا فعل مضارع مجزوم بلم وبها متعلقان بتحيطوا وعلماً تمييز والجملة حالية مؤكدة للإنكار والتوبيـخ وإظهـار بشاعة التكذيب القائم على الارتجال وعدم التمعن والتبصر والتحقيق ، وأم حرف عطف وهي هنا منقطعـة فهي بمعنى بل وما اسم استفهـام مبتدأ وذا اسم موصول خبر أو ماذا كلها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعملون وكنتم كان واسمها وجملة تعملون خبرها • (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) الواو عاطفة ووقع القول فعل وفاعل وعليهم متعلقان بوقع وبما ظلموا متعلقان بوقع أيضاً أي بسبب ظلمهم وما مصدرية والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا ينطقون خبر •

(ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الهمزة للاستفهـام التقريري والإنكاري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية لا بصرية وأن وما بعـدها سدت مسد مفعولي يروا وأن واسمها وجملة جعلنا خبرها والجعل هنا إن كان بمعنى الخلق لا بمعنى التصيير فتتعدى لواحد والليل مفعول جعلنا واللام للتعليل ويسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا على أنه علة له فهو بمثابة المفعول من أجله ، ولكن لا يجوز النصب لاختلاف الفاعل ، وفيه متعلقان بيسكنوا والنهار عطف على الليل ومبصراً حال أو مفعول

به ثان وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمهـا المؤخر ولقوم صفـة وجملة يؤمنون صفـة لقوم .
(ويوم ينفـخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض) ويوم معطوف على ويوم نحشر منتظم في حكمه وهو الأمر بذكره وجملة ينفخ في محل جر بإضافة الظرف اليها ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وفي الصور متعلقان بينفخ ، ففزع عطف على ينفخ وسيأتي سر التعبير بالماضي في باب البلاغة ، ومن فاعل فزع وفي السموات صلة ومن في الأرض عطف على من في السموات .

(إلا من شاء الله وكلٌّ أتوه داخرين) إلا أداة استثناء ومن مستثنى وجملة شاء الله صلة ، وكلٌّ : الواو للحال أو هي عاطفة وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ولأن تنوينه عوض عن المضاف اليه أي وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة ، وجملة أتوه خبر وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه كأنه وقع فعلاً وداخرين حال.
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب) الواو حرف عطف وترى الجبال فعل مضارع مرفوع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به والرؤية بصرية وجملة تحسبها حـال من الجبال والهـاء مفعول تحسبها الأول وجامدة مفعول تحسبها الثاني وهي الواو حالية وهي مبتدأ وجملة تمر خبر والجملة حال من جامدة . (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) صنع مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة قبله وأضيف المصدر الى فاعله والذي صفة لله وجملة أتقن صلة وكل شيء مفعول أتقن وان واسمهـا وخبرها وبما متعلقان بخبـير وجملة تفعلون صلة ما .

البلاغــة :

في هذه الآيات فنون متعددة نوجزها فيما يلي :

١ ـ المجاز العقلي :

في قوله « والنهار مبصراً » فقد أسند الإبصار الى الزمان وهو لا يعقل ولم يأت بالكـلام مقابلاً لما قبله وهو « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه » بل جعله أحدهما علة والثاني حالاً لأن التقابل قد روعي من جهة المعنى لأن معنى مبصراً ليبصروا فيه طـرق التقلب والمكاسب ، وهذا هو النظم المطبوع غير المتكلف .

٢ ـ الاخبار بالماضي عن المستقبل :

وأخبر بالماضي عن المستقبل في قوله « ففزع من في السموات ومن في الأرض » وكان السياق يقضي بأن يأتي بالمستقبل أيضاً ولكنه عدل الى الماضي للإشعار بتحقيق الفزع وانه كائن لا محالة لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به .

٣ ـ الطباق :

وفي قوله « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه ولكنه سريع يمر مروراً حثيثاً كما يمر السحاب وهذا شأن الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في وصف جيش :

بأرعن مثـــل الطود تحسب أنهـــم

وقوف لحـــاج والركـاب تهملـــج

وهذا بيت رائع فالأرعن الجبل العالي وقد استعاره للجيش ثم شبهه بالطود وهو الجبل العظيم ليفيد المبالغة في الكثرة والحاج اسم جمع واحده حاجة والركاب المطي لا واحد له من لفظه والهملجة السير الرهو السريع فارسي معرب وفي الصحاح : « الهملاج من البراذين واحده الهماليج ومشيها الهملجة فارسي معرب » يقول : حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين لحاج لكثرتهم والحال أن ركابهم تسرع السير .

وللزمخشري وصف بليغ لهذه الآيات نورده فيما يلي : « فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ، ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر « أي صنع الله » إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ، ألا ترى الى قوله صنع الله ، ووعد الله ، وفطرة الله ، بعد ما وسمها بإضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله : الذي أتقن كل شيء ، ومن أحسن من الله صبغة ، ولا يخلف الله الميعاد ، لا تبديل لخلق الله » .

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ

أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

الاعراب :

(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) كلام مستأنف مسوق للتمهيد لختام السورة بإجمال مصير المحسن والمسيء • ومن اسم شرط جازم مبتدأ وبالحسنة جار ومجرور متعلقان بجاء أو بمحذوف حال فالباء للملابسة أي جاء ملتبساً بها والفاء رابطة وله خبر مقدم وخير مبتدأ مؤخر ومنها صفة لخير أو متعلق به على أنه اسم تفضيل • وهم مبتدأ ومن فزع متعلقان بآمنون وآمنون خبر ويوم ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بمحذوف صفة لفزع أي كائن في ذلك اليوم ، وقرىء بإضافة فزع الى يومئذ • (ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة ومن شرطية وجاء بالسيئة فعل الشرط والفاء رابطة داخلة على « قد » محذوفة أي كبت ليصح اقتران الجواب بها ، وكبت فعل ماض مبني للمجهول ووجوههم نائب فاعل وفي النار متعلقان بكبت وجملة فكبت في محل جزم جواب الشرط وهل حرف استفهام وتجزون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون على طريق الالتفات والواو نائب فاعل والجملة حال أي فكبت وجوههم مقولاً لهم هل تجزون ، وإلا أداة حصر وما مفعول به ثان لتجزون وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة تعملون خبرها •

((إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها) الجملة مقول قول محذوف أي قل لهم إنما أمرت ، وإنما كافة ومكفوفة وأمرت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وأن أعبد في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأمرت ورب مفعول به وهذه مضاف لرب والبلدة بدل من اسم الاشارة والمراد بها مكة حرسها الله والذي نعت لرب هذه البلدة وجملة حرّمها صلة . (وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) الواو للحال وله خبر مقدم وكل شيء مبتدأ مؤخر وسيأتي سر هذا الحال في باب البلاغة ، وأمرت عطف على أمرت الأولى وأن أكون من المسلمين عطف أيضاً على ما تقدم . (وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) وأن أتلو عطف على أن أكون أي وأمرت بأن أتلو والقرآن مفعول به ، فمن الفاء تفريعية ومن شرطية مبتدأ واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو ولنفسه متعلقان بيهتدي . (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها في اعرابها ولا بد من تقدير فعل طلبي بعد الفاء أي فقل له إنما أنا من المنذرين . (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) الواو عاطفة وقل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول القول ، وسيريكم السين حرف استقبال ويريكم فعل مضارع والكاف مفعول به أول وآياته مفعول به ثان ، والجملة من تتمة مقول القول منتظمة في سلكه ، فتعرفونها الفاء عاطفة وتعرفونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو حرف عطف وما نافية حجازية وربك اسمها وبغافل

الباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنها خبر ما وعما متعلقان بغافل وجملة تعملون صلة .

البلاغـة :

الاحتراس :

في قوله تعالى « وله كل شيء » احتراس بديع وقد تقدم ذكر هذا الفن وأنه يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه علـى الكلام ، فقد أضاف سبحانه اسمه الى مكة تشريفاً لها وذكراً لتحريمها ، ولما أضاف اسمه الى البلدة والمخصوصة بهـذا التشريف أتبـع ذلك اضافة كل شيء سواها الى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار اليها وتنبيهاً على أن الاضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لا لأنها ملك الله تعالى خاصة .

الباقلاني يحلل سورة النمل :

هذا ونحب في ختام هذه السورة أن نشير إشارة سريعة تحليلية الى كتاب « إعجاز القرآن » لأبي بكر الباقلاني الذي سار ذكره في الناس وهو يجمـع الى روحـه الكلامية طابعاً أدبياً إذ لم يقتصر في الإعجاز على دراسته من الوجهة الكلامية بل تعرض للناحية البيانية والاسلوبية فقد نشأ الخطيب الباقلاني بارعاً في الجدل ، عالي القدر في علـوم القرآن والسنة والكـلام وتعرض لكثـير من المعارضين والمخالفين وقارعهـم الحجج ، وجادل علمـاء الروم مما أثار إعجاب معاصريه به .

فقد أرسله الملك عضد الدولة الى ملك الروم عام ٣٧١ هـ في سفارة رسمية وأدخلوه مرة وهو في عاصمة الروم على بعض القسس فقال القاضي للقسيس : كيف أنت والأهل والأولاد ؟ فتعجب الرومي وقال له : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملة، أما علمت أن المطارنة والرهبان منزهون عن الأهل والأولاد؟ فأجابه القاضي أبو بكر : رأيناكم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه ، وأراد كبير الروم أن يخزي القاضي فقال له : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها ؟ فأجابه هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ومريم أم المسيح فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفيها وقد برأهما الله مما رميتا به ، فانقطع الرومي ولم يحر جواباً .

خلاصة نظرية الباقلاني في الإعجاز :

١ ــ يبدأ بعرض الفكرة عرضاً بسيطاً فيثبت صحة ما بين أيدينا من نص القرآن وأنه هو حقاً كتاب الله المنزل على نبيه وأنه آية محمد ومعجزته الخالدة .

٢ ــ يثبت عجز العرب عن الاتيان بمثله على رغم تحديه لهم مراراً .

٣ ــ وينتهي من المقدمات السالفة إلى نتيجة عامة هي خلاصة نظريته في الإعجاز وهي « خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم » ثم يشرح هذه النظرية في كتاب الإعجاز فيقول : « والوجه الثالث انه بديع النظم عجيب التأليف ، متناه في البلاغة على تصرف

وجوهه ، واختلاف مذاهبه ، خارج عن المعهود من نظم جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب خاص به ويتميز في فصوله عن أساليب الكلام المعتاد » •

وقبل أن يلج الى نظم القرآن وتحليل سوره يتناول قصيدة لامرىء القيس وأخرى للبحتري ليرسم طريقته في النقد وتطبيق منهجه وينتقل في كلتا القصيدتين من المطلع الى النهاية منبهاً الى وجوه الجمال ومواطن الضعف ، وفي تحليله لقصيدة امرىء القيس أو معلقته ــ على الأصح ــ يوازن بين ما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها وما جاء شبيهاً أو مقارباً لها في القرآن منبهاً إلى تفوق القرآن دائماً ، وكثيراً ما تدخل النقد الشخصي في رأي الباقلاني في تحليل معلقة امرىء القيس وإن خالف ذلك الرأي آراء جميع النقاد ، انظر اليه كيف يخطىء الشاعر في قوله :

إذا قامتا تضوع المسك منهما •••

يقول : « فوجه التكلف فيه بقوله : إذا قامتا تضوع المسك منهما ، ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير » وهذا تحامل ظاهر من أبي بكر على الشاعر وعلى المعنى الذي تناوله إذ لا شك أن في هذا التعبير لمسة فنية دقيقة ترتكز على كلمة « قامتا » لأنها مبعث الحركة والحياة في الصورة كلها تريك الفتاتين غاديتين أو رائحتين وغلائلهما تبعث الأرج فيسري في الاعطاف ويعبق الجو بشذاه لما تبعثه الحركة في الهواء فيحمل العطر الى الأنوف لتستافه ولا يتسنى ذلك في القعود والسكون ، ومع هذا لا ننكر بعض ما نبه اليه الباقلاني من هنات في العقيدة بل ونأخذ برأيه

ونقدر له عمقه وحسن استنباطه ، اسمع الى هذا النقد العجيب الذي يخرس الألسن فقد تناول مطلع المعلقة في البيتين الأولين وهما :

قفـا نبك من ذكـــرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الـدخول فحومـل

فتوضح فالمقـراة لم يعف رسمهـــا

لما نسجتهـــا من خبوب وشمـــأل

فقال : « لم يقنع بذكر حد حتى حدده بأربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى ان أخلّ بحد أن يكون بيعه فاسداً أو شرطه باطلاً » .

وفي تحليله لقصيدة البحتري بعض الطرائف الفنية في النقـد نلخصها فيما يلي:

١ ــ الرؤيا الشعرية : فقد أشار الى اختلالها عند البحتري في في تشبيه الخيال بالبرق وذلك في قول البحتري :

أهـــلاً بذلكـم الخيـال المقبـــل

فعـــل الذي نهواه أم لـم يفعـــل

برق سرى من بطن وجرة فاهتـــدت

بسناه أعنـــاق الركـاب الضـــلل

فقال : « إنه جعـل الخيال كالبرق لإشراق مسراه » والخيال

لا يشبه عنده بالبرق لأن البرق سريع خاطف والخيال يسري مسرى النسيم •

٢ ـ الحشو : وهو زيادة اللفظ على المعنى المطلوب وهو عيب في النظم •

٣ ـ الابتذال في الصورة البيانية كالتشبيه أو الاستعارة أو الكناية •

٤ ـ الرونق اللفظي : إذ يرى في بعض أبيات البحتري رونقاً وطلاوة ويرى في بعضها الآخر قلة ماء ورونق •

٥ ـ الاختلال في المعنى : ومن هذا قوله في نقد بعض الأبيات « وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ويلائمه ثم الذي ذكره من الانتظار وإن كان مليحاً في اللفظ فهو في المعنى متكلف لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمراً وانما يقف تحسراً وتذللاً وتحيراً » وهذه الأبيات التي تناولها النقد :

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن
فيما أتاه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وإن من سيما الهوى
في حيث تجهله لجاج العاذل

ماذا عليك من انتظار متيم
بل ما يضرك وقفة في منزل

إن سيل عيّ عن الجواب فلـــم يطق

رجعـاً فكيف يكـون إن لم يســأل

٦ ـــ التضمين : وهو عيب معروف عند النقاد العرب •

٧ ـــ مخالفة بناء القصيدة العربية القديمة •

٨ ـــ التعقيد وعدم السلاسة في رصف الألفاظ وسبكها وهو عيب في الصياغة والنظم •

٩ ـــ الاستهلال وصلته بالفصل والوصل •

١٠ـــ الاشتراك في المعاني بينه وبين غيره من الشعراء مع تفاوت في الحسن •

١١ـــ بناء العبارة وتأليفهـا واختلافهـا بين النظـم السوي والمضطرب •

تحليل سورة النمل :

يتناول الباقلاني السورة جملة : يفسر غريبها ويبين ما فيها من جمال اللفظ والمعنى ويأخذ في تحليلها من أولها فيقول : « بدأ بذكر السورة إلى أن بين أن القرآن من عنده » ثم وصل بذلك قصة موسى وانه رأى ناراً فقال لأهله « امكثوا إني آنست ناراً سآتيكـم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون » وقال في سورة طه في هـذه القصة : « لعلي آتيكم منها بقبس أو أجـد على النار هدى » ثم قـال : فلما جاءهـا نودي أن بورك من في النار ومن حولهـا وسبحان الله رب العالمين » فانظر الى ما أجرى له الكـلام الأول وكيف اتصـل بتلك

المقدمة وكيف وصــل بها ما بعــدها من الأخبار عن الربوبية وما دلّ عليها من قلب الفصاحة وجعله دليلاً يدله عليه ومعجزة تهديه إليه وانظر الكلمات المفردة القائمة بنفسهافي الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الوصف ، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل » •

ويبين الباقلاني فضل نظم القرآن عــلى الكلام العادي فيدعو واحداً الى التقليد فلا يصل الى شيء ويقر بالعجز أمام لفظ القرآن ونظمه ويستطرد في تحليل السورة فيقول « متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة العالية الشريفة « ألاّ تعلوا علي وأتوني مسلمين » والخلوص من ذلك إلى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهــم أمرها وطاعتهــا بتلك الألفاظ البديعة والكلمات العجيبة ثم كلامها بعــد ذلك لتعلم تمكن قولها : « يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعــة أمراً حتى تشهدون » وذكر قولهم : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين » لا تجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله « الأمر إليك » تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتقانه في هــذا الكلام ، وتمكن الفاصلة وملاءمتها لما قبلها وذلك قولــه :

« فانظري ماذا تأمرين » ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الإعجاز فإن الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه » الى أن يقول: « وإن شرحت لك مافي كل آية طال عليك الأمر ولكني قد بينت بما فسرت وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت والنحو الذي قصدت والغرض الذي إليه رميت والسمت الذي إليه دعوت » .

ونحسبك بعد هذا قد ألممت بكتاب الاعجاز فقد أوردنا لك خير ما فيه .